سلسلة

المرأة في الأدب العربي

(١)

أوصاف المرأة

إعداد

إيهاب صبيح محمد زريق

الإهـــــــداء

إلى زوجتي،

شمس عمري . . دنيا حبي وآمالي . . .

أُهدي هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حصر لها، وضُرب بهن الأمثال، وذكر الله تعالى عفافهن في القرآن الكريم فقال: "ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين[1]"؛ وكيدهن فقال: "قال رب السجن أحبّ إلــيَّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عنى كيدهن أصبَ إليهن وأكن من الجاهلين* فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم[2]". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن: "استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان[3]عندكم".

وجاء في الأثر: "النظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر، والنظر إلى الوجه القبيح يُورِثُ الفلج[4]". ورُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مِنْ عشق فعفَّ فمات فهو شهيد[5]"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا[6]".

وقيل أن عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليس وهو يسوق أربعة أحمرة عليها أحمال، فسأله فقال: أحمل تجارة وأطلب مشترين.

فقال: ما أحدها؟

قال: الجور[7].

قال: مَنْ يشتريه؟

قال: السلاطين.

---

[1]- سورة التحريم، الآية (١٢).

[2]- سورة يوسف، الآيات (٣٣-٣٤).

[3]- عوان: أي أسيرات عندكم.

[4]- الفلج: نوع من الشلل. أنظر أخبار النساء لابن الجوزي ص٢٤.

[5]- ذكره الشوكاني في "الفوائد المجموعة" ص٢٥٥، الحديث رقم ١١٤.

[6]- أخرجه أحمد في "المسند" ج١ ص ٣٠٩.

[7]- الجور: الظلم.

قال: ما الثاني؟

قال: الحسد.

قال: فمنْ يشتريه؟

قال: العلماء.

قال: فما الثالث؟

قال: الخيانة.

قال: فمنْ يشتريها؟

قال: التجار.

قال: فما الرابع؟

قال: الكيد.

قال: فمن يشتريه؟

قال: النساء[1].

ورصد فحول الأدباء من أمثال ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد"، والأصفهاني في "الأغاني"، وابن القيم الجوزي في "أخبار النساء"، وابن طيفور في "بلاغات النساء"، والمسعودى في "مروج الذهب"، والثعالبي في "فقه اللغة وأسرار العربية"، والأبشيهي في "المستطرف"، وابن قتيبة في "عيون الأخبار"، وغيرهم من الأدباء حياة المرأة، فسجلوا حلوها ومرها، ودوّنوا طرائف النساء وبلاغتهن، وفائهن وغدرهن، عفتهن وعشقهن، ووصفوا حُسْنهن وجمالهن، وساقوا في ذلك القصص والحكايات والأخبار في كتبهم.

ولأن كل كتاب من هذه الكتب اشتمل على مواقف معينة من حياة المرأة دون غيرها، ولم يضم أيًّا منها بين ضفتيه هذه المواقف مجتمعة في كتاب، فقد رأيت أن أقوم بجمع شتات ما كتبه أساطين الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الفاطمي والمملوكي في سلسلة واحدة متحرياً فيما كتبت دقة النقل، وإيضاح المعاني

---

[1]- المستطرف ج٢ ص ٣٥٤ – ٣٥٥.

الخفية والغريبة من ألفاظ اللغة، ومترجماً لكثير من أعلام الرجال والنساء الوارد ذكرهم في كتب السلسلة، ومراعياً أيضاً حذف ما يخدش الحياء من ألفاظ، وما يثير الغلمة[1] من عبارات. ومن ثمَّ لم أُورد القصص التي تحتوى على وصف فاضح للمرأة كوصف الشاعر النابغة الذبياني "للمتجردة" امرأة النعمان بن المنذر في كتاب "العقد الفريد".

وقد قسمت هذه السلسلة إلى أربعة كتب ضمّنت كل كتاب منها أبواباً متناسقة ومتجانسة مع بعضها البعض، وذكرت فيها جميعاً قصصاً وحكايات وأخباراً وأقوالا ونوادر لعبت المرأة فيها إلى جانب الرجل دوراً رئيسياً، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بعواطف المرأة والرجل لأن كلاً منهما مكمل للآخر، وتوخيت أن أختار من كل ذلك ما فيه المتعة والفائدة قدر الإمكان.

يتضمن الكتاب الأول ستة أبواب تنم عناوينها على مضمونها، فالباب الأول في "وصف المرأة" ويشمل ما قيل في أوصاف المرأة المحمودة، وشرار النساء، وأنواع النساء، والحُسْن والجمال في المرأة... فقد أحبَّ العرب الجمال لأنهم يحسون بالحلاوة والعذوبة إحساساً غامضاً لا يقيده قيود ولا تحصره حدود كسواهم من الشعوب التي أُغرمت بالجمال، واتفقوا على أصول معينة للجمال تعارفوا عليها وألحقوا بالأصول فروعاً تتفق وأذواق الأفراد، فلا يكتمل مصنف من كتب الأدب ما لم يضم بين دفتيه شعراً أو نثراً، مقتبساً من أساطين الأدب، أو منقولاً عن الاختصاصيين في فنون الجمال الذين خبروه نظرياً وعملياً، وأدركوا مدى كل صفة من الصفات وميزة من الميزات[2]. ونحن في هذا الباب ندخل الخِدر[3] العربي ونتفحص هذه المرأة عن كثب[4]، نتبين تقاسيم الجمال فيها. والباب الثاني في "غيرة المرأة"؛ وما أكثر القصص التي تُروى في ذلك كغيرة الضرائر! والباب الثالث في

---

[1]- الغلمة: الشهوة.

[2]- انظر كتاب "الجواري" للدكتور جبور عبد النور.

[3]- الخِدر: الستر.

[4]- عن كثب: عن قرب.

"وفاء المرأة"؛ ويحوى كل قصص النساء اللاتي حفظن عهدهن بالوفاء وأغرب القصص التي رُويت في ذلك كوفاء الضرائر. وعلى نقيض ذلك كان موضوع الباب الرابع في "النساء اللاتي نقضن العهد بالوفاء"؛ وهن نساء لم تتمكن من الوفاء بعهودهن لأزواجهن لسبب أو لآخر. وأنهيت الكتاب الأول بباب في "غدر النساء" ، وباب في "كيد النساء"؛ وهما بابان مترابطان معاً، وقد رأيت أن أفصل بينهما لما يتضمنه باب الكيد من حيل ومكائد لا تخطر على قلوب أولى الألباب من الرجال؛ ولكن تلك هي المرأة.

ويتضمن الكتاب الثاني باباً في "عفة المرأة" وباباً في عشقهن بعنوان "نساء عاشقات". وقد اكتفيت بهما لما ذكرت من قصص العفاف، وحكايات الحُب العفيف أو الحُب العذري عند العرب، وهو حبٌّ أُغرم به العربي بعيداً عن شهوة الجسد ومفاتن المرأة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سمو الرجل العربي بخلاف الافتراءات التي يُرمى بها. وسردت في هذا الباب قصصاً كثيرة تكشف عن أعماق النفس الإنسانية عند الرجل والمرأة معاً، والتي حدَّ المجتمع وتقاليده في أحيان كثيرة من ظهورها بشكلٍ واضحٍ وجلي نظراً للفروقات الطبقية وللمقامات المؤثرة وللحدود الشرعية التي تفرض على العشاق قيوداً لا يمكن تجاوزها. وبدأت الباب بمقدمة مفصلة عن العشق وما قيل في الهوى والجوى ونبذة عن قبيلة بنى عذرة التي اشتهرت بالحبّ العذري وعُرف باسمها، ورويت أشهر قصص العشاق من أمثال: بثينة وجميل، عزَّة وكُثَيِّر، فوز والعباس ابن الأحنف، ليلى العامرية والمجنون، ليلى الأخيلية وتوبة بن الحمير، ليلى والصحصاح، لبنى وغانم، مي ومضاض ، سلامة الزرقاء والقس، ريا وعمرو بن عود، ريا وعتبة بن الحباب، عقيلة وعمرو بن كعب، عنتر وعبلة، عفراء وعروة، أسماء والمرقش الأكبر، صفوة وإياس، أمّ البنين ووضَّاح اليمن، محبوبة والمتوكل، حبابة وعبد الملك بن مروان، وعنونت كل قصة بأسماء طرفيها إن ذكراً في كتب الأدب، أما باقي القصص فعنونتها بألفاظ أو عبارات وردت بها، شأنها في ذلك شأن القصص التي ذُكرت في جميع أبواب السلسلة، وأنهيت هذا الباب بقصص العشق الإلهي.

والمرأة على امتداد تاريخ العرب كم أثارت من فتنة، وكم أشعلت من حرب ضروس أُريقت بها دماء وأزهقت أرواح، وكم ساهمت في بناء وتعمير وتشييد أو هدم وتدمير وخراب صروح، وكم سادت من حضارات أو بادت بسبب منها، وكم هدمت من صوامع

وبِيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، وكم من خليفة انشغل عن أمور الخلافة بجارية أخذت بعقله وسيطرت على تفكيره حتى مات كمدا عليها، وكم نظمت من الشعر وخاضت بحوره، وكم نطق لسانها بعبارات البلاغة والفصاحة والبيان... تلك الأدوار التي لعبتها المرأة هي موضوع الباب الأول من الكتاب الثالث، وبلاغتهن هي موضوع الباب الثاني منه.

وأنهيت هذه السلسلة بكتاب يتناول طرائف النساء والجواري والأعرابيات ... حكايات ممتعة ومواقف نادرة، ولطائف ندية خفيفة الدم والروح، تروِّح عن قلب الإنسان وتخفف عنه متاعب الحياة وهموم الدنيا... نوادر في الحُسْن والجمال، والقبح، والدمامة، والزواج، والجماع، والطلاق، والبخل، والمأكل والمشرب، ونوادر تنم عن ذكاء المرأة وخفة دمها. ويعد هذا الكتاب بداية لسلسلة جديدة لنا بعنوان "النوادر والطرائف والظرفاء" سوف يتم نشرها عقب هذه السلسلة إن شاء الله.

والجدير بالذكر أنني لم أتعرض من قريب أو من بعيد لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، فهن أمهات المؤمنين وأطهر وأجلّ وأعظم من أن أضعهن جنباً إلى جنب مع غيرهن من النساء، وحقهن إن أراد كاتبٌ أن يخط بيمينه شيئاً من ذكرهن أن يخصص لهن كتاباً أو كتباً بذاتها.

وتبقى المرأة هي المرأة، مخلوقاً له عالمه الخاص، وتراثاً كاملاً من القيم الإنسانية، وسلسلة متصلة الحلقات من مشاعر الحبّ والعشق وعواطف الإعراض والصد والجفاء أو عواطف الإقبال والوفاء، ووجهاً من وجوه الحياة والمصير، ودنيا مليئة بالوعي وزاخرة بالمشاعر، سلوة الرجل، وغذاءه الروحي والجسدي، ونصفه الذي لا يكتمل بدونه، بقربها تصفو الحياة ويصلح العمر.

إنَّ هذه السلسلة جهدٌ متواضعٌ أضعها بين يدي القارئ الكريم راجياً أن يجد فيها المتعة والفائدة المرجوة.

والله من وراء القصد ،،،،،،

إيهاب زريق



الباب الأول

أوصاف المرأة

الحُسْن والجمال

أحبّ العربي الجمال، ومن ثمَّ أحبّ المرأة حباً جماً؛ فالمرأة هي الجمال -لا كل الجمال- فكانت المرأة الجميلة جنته التي يحلم بها، ويضحي من أجلها بكثير من راحته. ومن الإنصاف القول أن العربي الذي تمثل جنته عند ربه في آخرته أهلة بالحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون لهو رجل بلغ حبه للمرأة مبلغا عظيماً، فجعل منها ريحانة لقلبه في دنياه ونعيماً مقيماً في أخراه.

وقد تعارف العربُ على بعض شروط وشمائل الحُسْن في المرأة، فجعلوا منها أصولاً عامة، وألحقوا بها كثيراً من الفروع التي تقتضيها الأذواق الفردية. "في كتب الأدب صفحات عديدة عن هذه الأصول والفروع، فلا يكتمل مصنف منها ما لم يضم بين دفتيه بعضها شعراً أو نثراً، مقتبساً من أساطين الأدب، أو منقولاً عن الاختصاصيين في فنون الجمال الذين خبروه نظرياً وعملياً، وأدركوا مدى كل صفة الصفات وميزة من الميزات.[1]".

وقسَّم بعض العربُ شمائل الحُسْن والجمال في المرأة إلى إحدى عشرة صفة:

- الصباحة في الوجه.
- والوضاءة في البشرة.
- والجمال في الأنف.
- والحلاوة في العينين.
- والملاحة في الفم.
- والظُرف في اللسان.
- والرشاقة في القد.
- والليانة في الشمائل.
- والبداعة في المحاسن.

---

[1]- الجواري لجبور عبد النور ص٧ .

۞ والدقة في الأطراف.

۞ وكمال الحُسْن في الشَعر.

وقيل الحُسْن في الوجه، والملاحة في العينين. وقيل الحُسْن أمرُ مركب من أشـــياء: وضاءة وصباحة وحُسْن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة. وقيل: الحُسْن معنى لا تناله العبارة، ولا يحيط به الوصف، وإنما للناس منه أوصاف أمكن التعبير عنها[1].

*قال ابن شُبْرُمة: كفاك من الحُسْن أنه مشتقٌ من الحسنة. وقال عمر بن الخطــاب رضى الله عنه: إذا تم بياض المرأة في حُسْن شَعرها فقد تمَّ حسنها. وقالت عائــشة رضى الله عنها: البياض شطر الحُسْن. وقال بعض السلف: جعل الله البهاء والهوج مع الطول، والدهاء والدمامة مع القصر، والخير فيما بين ذلك.

*وقالت امرأة خالد بن صفوان له: لقد أصبحت جميلاً! فقال لها: وما رأيــت مــن جمالي، وما فيّ مِنْ رداء الحُسْن ولا عموده ولا بُرنُسه؟ قلت: وكيف ذلك؟ قــال: عمود الحُسْن الشَّطاط[2]، ورداؤه البياض، وبُرنُسه سواد الشَعر [3].

الـــــوجـــــــــه

*قال أبو الغصن الأعرابي: خرجت حاجاً، فلما مررت بقُباء تداعى أهله، وقــالوا: الصَّقيل الصَّقيل ! فنظرت وإذا جارية كأنَّ وجهها سيفٌ صَّقيلٌ، فلمّا رميناها بالحدق ألقت البرُقع على وجهها، فقلنا: إنَّا سفر وفينا أجْرٌ، فأمتعينا بوجهك، فانصاعت وأنا أعرف الضحك في وجهها وهى تقول:

وكنت متى أرسلت طرْفك رائداً
لقلبك يوماً أتعبتك المناظرُ

رأيت الذي لا كُلُّه أنت قادرٌ
عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ[4]

١- روضة المحبين ص ٢٣٢ .

٢- الشّطاط: حُسْن القامة واعتدالها.

٣- العقد الفريد ج ٧ ص ١٠٩ .

١- عيون الأخبار ج٤ ص٢٢ .

*وقال بعض الشعراء يذكر نساء جئن مع جارية:

أقبلن في رأد الضحاء بها

سترن وجه الشمس بالشمس[1]

*ذكر بعض الأعراب امرأة قال : خَلَوتُ بها والقمر يُرينيها، فلمّا غاب أَرَتْنيه.[2]

*قال كُثير عزَّة:

لو أنَّ عزَّة خاصمت شمس الضحى

في الحُسْن عند موفَّق لقضى لها[3]

*قال ضمْرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذَب: دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري، فقالت: يا أبا سعيد، أينبغي للرجال أن يتزوجوا على النساء؟ قال: نعم، قالت: وعلى مثلي؟ ثم أسفرت عن وجهٍ لم يُرَ مثله حسناً، وقالت: يا أبا سعيد، لا تفتوا الرجال بهذا، ثم ولَّت، فقال الحسن: ما على رجل كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا[4].

الأصـــــداغ

*وقال المغنى إسحاق الموصلي في وصف الأصداغ:

ظباء كالدنانير كناس في المقاصير

وأدبرن بأعجاز كأوساط الزنابير

وقد عقربن أصداغاً كأذناب الزنابير[5]

٢–رأد الضحاء: وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء.

٣– عيون الأخبار ج٤ ص٢٦.

٤–روضة المحبين ص٢٣٨.

١– المرجع السابق ص٢٢٦.

٢–نهاية الإرب ج٢ ص١٠٠.

*قال مؤلف كتاب "الصحاح": الصدغ خصلة من الشَعر ترسل بين العين والأذن، ومنه قالوا صدغ معقرب.

الشَّعر

*قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب "الأوصاف": كان يُقال استجيدوا من المرأة شَّعرها، فإن الشَّعر أحد الجمالين.

*وأفضل ما يشتهيه (الشعراء) هو انسدال هذا الشَعر الفاحم الطويل على الجسم البض. يلف بعضه بغلالته[1] القاتمة، فينصع بياض ما تبقي منه، وتتجلي أمامه الصورة التي مثلها الشاعر بقوله:

بيضاء تسحب من قيام شَّعرها
وتغيب فيه وهو جثل أسحم[2]

فكأنها فيه نهارٌ ساطع
وكأنه ليلٌ عليها مظلم[3]

*وهذا الشَّعر المنسدل لا يحجب أحياناً صاحبته فحسب، بل يغزر ويطول، وتُعنى به الماشطات حتى يستر أحياناً حاملته ومحبها، كما حدث للشاعر القائل:

نشر على ذوائباً من شَّعرها
حذر الكواشح والعدو المحنق

فكأنني وكأنها وكأنه
صبحان باتا تحت ليل مطبق[4]

٣- الغلالة: الثوب الخفيف.

١- جثل: كثير ملتف، وأسحم: أسود.
٢- عيون الأخبار ج٤ ص٢٧.
٣-نهاية الإرب ج٢ ص١٩، وانظر: الجواري ص١٤ - ١٦.

*وذكر الأصفهاني في كتابه "الأغاني"، عن الأصمعي قال، قلت لأعرابية: ما الغراء؟ فقالت: هي التي بين حاجبيها بلج، وفى جبهتها اتساع معه قصتها عن حاجبيها فتكون عنهما نفيف!
والبلج هو أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشَّعر. وضد البلج القرن وهو أن يطول الحاجبان حتى يلتقي طرفاهما. ومعط أي تساقط الشَّعر عن بعض أجزائهما. وزبب أي كثرة الشَّعر فيهما.

العيون

*أما العيون في فنون الجمال فهي الدعجاء، أي الوسيعة الشديدة السواد، القائمة الأهداب بدون كحل، الصافية الحدقة التي تبدو وكأنها تغالب النعاس في نعاسها الدائم، أو التي قال عنها أبو نواس:

ضعيفة كرّ الطرف تحسب أنها
قريبة عهد بالإفاقة من سقم[1]

*وقال أبو عمرو بن العلاء: الحَوَر أن تتسع الحدقة حتى لا يظهر معها شئ من البياض كأعين الظباء والبقر، وليس في بنى أدم حَوَر وإنما هو تشبيه لما بأعين الظباء.
ومن صفات العيون أيضاً الدَعج، وهو سعة الحدقة وشدة اسودادها. والبَرَج وهو سعة العين وشدة بياض بياضها. والنجل وهو اتساع العين مع حُسنها. والوَطف وهو طول أشفار العين وتمامها. والفتور وهو انكسار النظر وذبوله في أصل الخِلفة.
يقول الأصمعي: ما وصف أحد العيون بمثل ما وصف أحمد بن الرقاع في قوله:

وكأنها دون النساء أعارها

١- نهاية الإرب ج٢ ص٤١، وانظر: الجواري ص٢٠٠ .

عينه أحور من جآر جاسم

وسنان أقصده النعاس تلاعبت

في جفنه سَنة وليس بنائم1

الأنـــــــــف

*ومن الأوصاف المرغوبة للمرأة أن تُقال امرأة شمم، وهو استواء علـــى قصبة الأنف مع ارتفاع يسير في الأرنبة. والدلف، وهو قــصر الأنــف وصـــغر الأرنبة. وقريب من الدلف الخنس وهو قصر الأنف وارتفاع يــسير فـــي الأرنبـــة كأنوف الظباء والبقر. ومن عيوب الأنف ضخامته وكبره، وأيــضاً الفعــم بالفـــاء والعين المهملة، وهو تطامن في وسطه أو اعوجاج فيه. ومن عيوبه أيضاً الفطـــس وهو تطامن شديد فيه مع عرض واتساع، والكزم وهو قصره.

*عن الأصمعي قال: كنت عند الرشيد إذ دخل عليه رجــل بجاريـــة أراد بيعها فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك فلولا خـــنس بأنفهـــا، وكلــف بوجههـــا لاشتريتها، قال: فانطلق الرجل، فلمَّا بلغ الباب طلبت الرجوع، فأمر الرشيد بردهـــا فأنشدته:

ما سلم الظبي على حُسْنه

كلا ولا البدر الذي يُوصف

الظبي فيه خنس بيّن

والبدر فيه كلف يعرف

فأعجبته بلاغتها واشتراها، فكانت أحظى جواريه عنده[2].

٢–فقه اللغة وأسرار العربية .

١– المستطرف ج١ ص٩٧–٩٨ .

الثغـــــور والشفــــــاه

*قال أعرابي:

إذا هُنّ أبدين الخدودَ وحَسرِّت

ثغورٌ عن الأفواه كي تتبسَّماً

أجاد القضاةُ العادلون قضاءَهم

لهن بلا وهم وإنْ كنّ أظلماً[1]

*وأنشد ثعلب:

خزاعيةُ الأطراف مُرِّية الحشا قزازية العينين طائية الفم

ومكيةٌ في الطيب والعطر دائماً

تبدّت لنا بين الحطيم وزمزم [2]

*وقال بشار:

وكأنَّ تحت لسانها

هارون ينفث فيه سحراً

وكأنَّ رَجْع حديثها

قطعُ الرياض كُسِين زهراً[3]

*قيل: يُستحسن من الشفاة الشفة اللمياء واللمي، وهي سُمرة يسيرة فـــي الـــشفتين واللثات. وكما يُستحسن منه الشفة الحُواء واللعساء، وهي سواد اللسة والشفة. وفي هذا يقول ذو الرمة[٤]:

لمياء في شفتيها حُوة وضحت

وفى اللثات وفى أنيابها شنب

٢– عيون الأخبار ج٤ ص٢٩ .

١– روضة المحبين ص٢٣٩.

٢– عيون الأخبار ج٤ ص٨٣.

[4]– ذو الرمة: شاعر معروف، وسوف نذكر أخبارا كثيرة عنه بين طيات هذه السلسلة.

ومن الشفاه المستحسنة أيضاً الشفة الضمياء، والضمي هو سمرة يسيرة مع رقة وضمور. ويُستحب في الشفة الخموشة، وهي الرقة فإن غلظت قيل شفة ثعباء.

*واللثات جمع لثة، وهي اللحم المغشي لأصول الأسنان. وشروط الحُسْن في هذه الناحية من المرأة هي رقة الأسنان واستوائها، أو الشنب كما يقولون، وحُسْن تنضيدها واتساقها. والعرب كانوا يستحبون التفليج، وهو الانفراج القليل بينها من غير تباعد مع المحافظة على الحُسْن والاستواء والبياض.

*ولإبراز محاسن الأسنان تنبهت المرأة إلى السواك المأخوذ من شجر الأرك، فاستخدمته في تنظيف أسنانها وإخراج ما علق بينها من بقايا الطعام. وفى هذا يقول الشاعر:

نقل الأراك بأن ريقه ثغره

من قهوة مزجت بماء الكوثر[1]

*وقال آخر:

أقول لمسواك الحبيب لك الهنا

بلثم فم ما ناله ثغر عاشق[2]

*قال على بن المغيرة: كانت زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبى عقيل أخت الحجاج بن يوسف لأبيه وأمها الفارغة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي عند المغيرة[3] بن شعبة، فرآها يوماً تتخلل بكرة[4]، فقال لها: أنت طالق، والله لئن كان هذا من غذاء لقد جشعت ونهمت، وإن كان من عشاء لقد أنتنت وقذرت، فقالت: قبَّح

١-نهاية الإرب ح٢ ص٦٨ .

٢- المرجع السابق ج٢ ص٦٨ .

٣- هو المغيرة بن شعبة الثقفي ، صحابي شهد الحديبية وولى الكوفة غير مرة، أحصن سبعين امرأة، وبرأيه ودهائه يُضرب المثل، مات سنة خمسين للهجرة "الكاشف".

٤-بكرة: أي صباحاً، والكبرة: الغدوة .

الله الذوّاق المطلاق، ولا يبعد الله، والله ما هو الذي ظننت، ولكنه استمسك بين أسناني شظية من السواك [1].

*وأنشد امرؤ القيس:

وثغرٌ أغرٌّ فتيت النبات

لذيذ المقبل والمبتسم

وما ذقته غير ظني به

وبالظن يقضى عليك الحكم

*وقيل أن مصعب بن الزبير، صبيحة بنائه[2] بعائشة بنت طلحة، وكانت من أجمل نساء عصرها، سمع مغنية تغنى بهما، فقام حتى دنا منها، وقال: يا هذه إنّا ذقناه البارحة، فوجدناه على ما وصفت.

الثـــــدي

*وقال الله تعالى: "إن للمتقين مفازاً * حدائق وأعناباً * وكواعب[3] أتراباً [4]".

يُقال للمرأة إذا كعب ثديها أي ظهر كاعب! فإذا فلك أي استدار قيل مفلكة!، وإذا نهد أي علا وأشرف قيل ناهد !

وقيل لإبراهيم بن النظام[5] أي مقادير الثدي أحمدُ؟ قال: وجدت الناس يختلفون في الشهوات، وسمعت الله تبارك وتعالى حين وصف حور العين جعلهن كواعب أتراباً، ولم يقل فوالك ولا نواهد. وقالت العرب: يسار الكواعب، ولم تقل يسار النواهد، ولا يسار الفوالك !

٥- أخبار النساء لابن الجوزي ص ٢٨ .

١ - بنائه: زواجه.

٢- كواكب: نساء كواكب أي أثداؤهن قائمة على صدورهن لم تتكسر، فهنّ عذارى نواهد، ومفردها كاعب.

٣-سورة النبأ، الآيات (٣١-٣٣).

٤- إبراهيم بن النظام: هو إبراهيم بن سيار بن هاني النظام من المعتزلة.

*وقال ابن الجهم:

يملأ الكف ولا يفضلها

وإذا ثنيته لا ينثني

*وقال عبد الله:

كأنَّ النهود وقد فلكت

وزان العقود عليها النحورا

حقاق من العاج مكنونة

حملن من المسك شيئا يسيرا

*وفى رواية أن مالك بن الحارث الأشتر دخل على علي رضى الله عنه صبيحة بنائه على بعض نسائه، فقال: كيف وجد أمير المؤمنين أهله؟ قال: كخير امرأة لولا أنها حداء قباء[1]. فقال: وهل تريد الرجال من النساء إلا ذاك! قال: لا تحسُن المرأة حتى تروى الرضيع وتدفئ الضجيع[2].

*كتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب[3] أن أخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها ذليلة في نفسها مؤاتية لبعلها، فكتب إليه قد أصبتها لولا عظم ثدييها[4] فكتب إليه لا يكمل حُسْن بدن المرأة حتى يعظم ثدييها وتدفيء الضجيع وتروى الرضيع.[5].

١- حداء: المرأة صغيرة الثديين، والقباء: اللطيفة الكشحيين.

٢- عيون الأخبار ج٤ ص٣٠ .

٣- الحكم بن أيوب: هو الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف، ولاه الحجاج البصرة، ثم قُتل بأمر من سليمان بن عبد الملك عام ٩٧هـ.

٤- المرأة هنا هي خولة بنت مسمع .

٥- المستطرف ج٢ ص ٣٥٢ .

*وقالت أمّ زرع:

خرج أبو زرع، والأوطاب[1] تُمْخَض، فلقي امرأة معهـا ولـدان كالفهـدين يلعبان تحت خصرها بُرمَّانتين! فطلقني ونكحها.

*وقال المرار بن سعيد [2]:

صلبة الخدّ طويل جيدها

سجمة الثدي ولمّا ينكسر[3]

*وقال النابغة :

والبطن ذو عكن لطيف طيه

والنحرُ تنفحه بثدي مقعد

*وروى الأصمعي، فقال: أن أعرابياً قال لابن عمه:

إبغني امرأة بيضاء مديدة[4]، فرعاء[5] جعدة[6] ، تقوم فلا يصيب قميصها منهـا إلا مشاشة[7] منكبيها، وحلمتي ثدييها ورانقتي[8] إليتها ، ورضاف[9] ركبتيها، إذا استقلت فرميت تحتها بالأترجة[10] العظيمة نفذت من الجانب الآخر، فقال له ابن عمه: وأنّى بمثل هذا إلا في الجنان!

٦– الأوطاب: مفردها وطب أي سقاة اللبن.

٧– المرار بن سعيد: هو المرار بن سعيد الفقعسي من بنى أسد، كان قصيراً مفرط القـصر (انظر الشعر والشعراء).

٣– الجيد: العنق، السجمة: المرضع الدرورة.

٤– عيون الأخبار ج٤ ص ٣٠ .

٥– مديدة: طويلة.

٦– فرعاء: ذو هيئة حسنة.

٧– الجعدة: المرأة الشديدة وصاحبة الخلق.

٨– المشاشة: أعلى عظم الكتف .

٩– الرانقة: أسفل الإلية.

١٠– رضاف الركبة: الجلدة التي على الركبة.

١١–الأترجة: ثمرٌ من فصيلة الحمضيات.

*وقال الشاعر:

أبت الروادف والثدي لقُمصه مس البطون وأن تمسَّ ظهوراً

وإذا الرياح مع العشيّ تناوحت نبهن حاسدةً وهِجن غيوراً[1]

البيـــاض والسُمرة

*قال الأصمعي: سمعت امرأة من العرب تصف امــرأة ، فقالــت: هـــي سطعاء بضّة، بيضاء غضَّة، ردماء سهلة، قَبّاء[2] طَفْلَة، تنظر بعيني شادنٍ ظمــآن، وتبسم عن نورِ الإقحوان، في غِب التَّهتان، وتشير بأساريغ الكثبان، خلقها عمـــيم، وكلامُها رخيم.

*ووصف أعرابي النساء، فقال:

مطلع الشمس من وجهها، وملقط الدر من فمها، ومبادئ الليل من شَــعرها، ومغرس الغصن من قدها، ومهيل الرمل من ردفيها، ومنبت الورد من خدّها، ومنع السحر من طرْفها، أعلاها كالغصن ميَّال، وأسفلها كالدعص[3] منهال.

*وفى رواية أن رجلا أراد الزواج، فسأل أعرابية أن تــصف لـــه أجمـــل النساء، فقالت: عليك، بالبضَّة، البيضاء، الدرماء[4]، واللعساء[5]، الــشمَّاء، الجيـــداء، الزبحلة، السبحلة المدبجة المتن، الخميصة البطن، ذات الثدي الناهد، والفرع الورد،

١– المقصود هنا أن ارتفاع ثدييها يمنع الثوب أن يمسَّ البطن، وارتفاع ردفهـــا يمنعـــه أن يمـــسَّ الظهر، فإذا تناوحت الرياح، أي أتت من كل ناحية، ووجدت بين جسمها والثـــوب هـــواء خاليـــاً فتمكنت من رفعه، فيبدو ما تحته فينبه حسد الحاسدة ويهيج غيرة الغيور.

٢– قباء: ضامرة الخصر والبطن.

٣– الدعص: قورٌ من الرمل مجتمع.

٤– الدرماء: مملوءة الكعبين.

٥– اللعساء: لعس: يقولون كأن في شفته لعس أي سواد مستحسن، ولعست الشفة كانت لعساء .

والعين النجلاء[1]، والحدقة الكحلاء، والعجيزة الوتيرة، والساق الممكورة[2] ، والقـــدم الصغيرة، فإذا أصبتها فأعطها الحكم فإنها غُنم من الغُنْم [3].

*وقيل يُستحسن في المرأة أربعة وهنّ: أطرافها، وقامتها، وشَّعرها، وعنقها.

وقصر أربعة: يدها، ورجلها، ولسانها وعينها، فلا تبذل ما في بيت زوجها، ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيل بلسانها، ولا تطمح بعينها.

وبياض أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها.

وسواد أربعة: أهدابها، وحاجبها، وعينها، وشَّعرها.

وحُمرة أربعة: لسانها، وخدها، وشفتها مع لعس، وإشراب بياضها بحُمرة.

ودقة أربعة: أنفها، وبنانها، وخصرها، وحاجبها.

وغلظ أربعة: ساقها، ومعصمها، وعجيزتها، وذاك منها.

وسعة أربعة: جبينها، ووجهها، وعينها، وصدرها.

وضيق أربعة: فمها، ومنخرها، وخرق أذنها، وذاك منها [4].

*قال أحد الملوك لبعض حاشيته:

صفوا لي ما تحبونه من النساء ..

فقال الأول:

أحب فيهن القدود .. والخدود .. والنهود .

وقال الثاني:

أحب منهن الأطراف .. والأعطاف .. والأرداف ..

وقال الثالث:

أحب فيهن الحاجبين .. والعينين .. والشفتين

وقال الرابع:

١–النجلاء: العين الواسعة .

٢– ممكورة: مطوية .

٣– الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

٤– روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٣٨.

أحب فيهن الشعور .. والثغور .. والنحور ..

وقال الخامس:

أحب فيهن الجمال .. والدلال .. والاعتدال ..

وقال السادس :

أحب فيهن من الحواس .. اللمس والهمس ..

وقال السابع:

أحب منهن .. الدقيقة .. الرقيقة .. الرشيقة[1].

*قال يزيد لأبيه: إن عبد الرحمن بن حسان يشبّب بابنتك رملة.

قال: وما يقول فيها؟

قال: يقول:

هي بيضاء مثل لؤلؤة الغوّا

ص صيغت من لؤلؤ مكنونِ

قال: صدق!

قال: ويقول:

إذا ما نسبتها لم تجدها

في ثناء من المكارمِ دونِ

قال: صدق أيضاً!

قال: ويقول:

تجعل المسكَ واليَنْجُو

ج صلاءً لها على الكانونِ[2]

قال: صدق!

قال: فإنه يقول:

١- طرائف النساء ص ٢٠-٢١.

٢- الصلاءة : الفِهْر وهو حجر تسحق عليه الأدوية ، والكافون: الموقد .

ثم خاصرتُها إلي القبّة الخَضْـــ

ـــراء نمشى في مرمر مسنون

قال: كذب!

قال: ويقول:

قبةٌ من مراجل ضربوها

عند برد الشتاء في قيطونِ[1]

قال: ما في هذا شئ.

قال: تبعث إليه مَنْ يأتيك برأسه.

قال: يا بني، لو فعلت ذلك لكان أشد عليك؛ لأنه يكون سبباً للخوض فـــي ذكره فيُكثر مُكثر ويزيد زائد، أضرب عن هذا صفحاً، واطوِ دونه كشحاً[2].

*عن المدائني قال: الحُسْن أحمرُ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن[3] والتضمُّخ بالطيبِ، كما تضرب بيضه الأدحِيّ[4] واللؤلؤة المكنونة؛ وقد شبَّه الله عز وجل في كتابه فقال: "كأنهن بيض مكنون".

وقال الشاعر:

كأن بيضَ نعام في ملاحقها

إذا اجتلاهن قيظ ليلُه ومِدُ[5]

١– القيطون: المخدع بلغة أهل مصر .

٢– الكِشْح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلْف، وطوى فلان عنـــى كَـــشحه أي قطعنـــى ، (والكاشح) الذي يُضمر لك العداوة، يُقال (كَشَحَ) له بالعداوة من باب قطع. أنظـــر "مختـــار الصحاح" ص ٧٥٢ . أخبار النساء في العقد الفريد ص٨٧.

٣– الكن: البيت أو وقاء كل شئ وستره.

٤– الأدحى: بيض النعام في الرمل.

٥– القيظ : شدة الحر.

*وقالوا: إنَّ الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم، إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر.

*وقال عدّى[1] بن زيد يصف لون الوجه:
حمرة خلطت صفرة في بياض مثل ما حاك حائك ديباجاً.

* وقالوا: إنَّ الجارية الحسناء تتلون بلون الشمس، فهي بالضحى بيضاء، وبالعشي صفراء.

*وقال الشاعر:
بيضاءُ ضحوتُها وصفـــْـ
راء العشية كالعرارَة[2]

*وقال ذو الرمة:
بيضاء صفراء قد تنازعها
لونان من فضة ومن ذهب[3]

*والعرب تمدح المرأة بالبياض، قال الشاعر:
بيض أوانس ما هَممْن بريبة
كظباء مكة صيدهنَّ حرامُ
يُحسَبن من لين الحديث زوانيا
ويصدَّهُن عن الخنا الإسلام[1]

٦- عدي بن زيد: شاعر، من دهاة الجاهليين، كان قروياً، من أهل الحيرة، فصيحاً . هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسري . قتله النعمان بن المنذر (كان عدى زوج ابنته هند) في سجنه بالحيرة نحو ٣٥ ق.هـ (الأعلام ج٤ ص ٢٢٠).
١- العرارة: بهار ناعم أصفر طيب الرائحة.
٢- العقد الفريد ج٧ ص١٠٩ ، والمستطرف ج٢ ص ٣٥٣.

*وقال عروة بن أذينة:

إنَّ التي زعمتْ فؤادك ملَّها

خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فإذا وجدتَ لها وساوس سلوةٍ

شفع الفؤاد إلى الضمير فسلَّها

بيضاء باكرها النعيمُ فصاغها

بلباقة فأرقّها وأجلّها[2]

*وعن السواد والسُمرة في المرأة، حُكى أن حبشية ورومية تفاخرنا، فقالت الرومية: أنا حبة كافور وأنتِ عدل فحم! فقالت الحبشية: أنا حبة مسك وأنتِ عدل ملح!

*وقيل أن رجلاً أتى ابنة الحسن يستشيرها في امرأة يتزوجها، فقالت: أنظرها رمكاً[3] جسيمة أو بيضاء وسيمة في بيت حدٍّ[4].

*وذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني" أن رجلاً قال لبنيه حين احتضر: يا بنيّ عليكم ببيوتات العرب فإنها مدارج الكرم، وعليكم بكل رمكاء ركينة أو بيضاء رزينة في بيت جدٍّ أو بيت حدٍّ.

*وقد فُتن كثيرٌ من العرب بالسود، وكان لهن شعراؤهن والمعجبون بهن ، وارتقت بعضهن إلى مكانة رفيعة في المجتمع. وقد قال الشاعر في غانية سوداء:

أشبهك المسك وأشبهته

قائمة في لونه قاعدة

٣- روضة المحبين ص٢٤٣.

٤- عيون الأخبار ج٤ ص٢٩ .

١- الرمكاء: السمراء .

٢- في بيت حد: أي جمعت إلى شرفها الثروة، وفي بيت حد: أي ترضى باليسير وأدنى إلى الألفة .

لا شك إذ لونكما واحد

أنكما من طينة واحدة[1]

ودفعت المغالاة في حُب السواد شاعراً آخر إلي القول:

ومنْ يك معجباً ببنات كسري

فإني معجبٌ ببنات حام[2]

وثانياً إلي القول:

أحبُّ لحبها السودان حتى

أحب لحبها سود الكلاب[3]

*وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن المـــرأة الـــسوداء: تزوَّجهـــا سمراء ذلفاء[4]، عيناء[5]، فإن فركتها فعلى صداقها [6].

السُمــــــــــن والنحافة

*وعن سُمن المرأة ونحفها قال ابن شُبرمة: ما رأيت لباساً على رجل أزين من فصاحة، ولا رأيت لباساً على امرأة أزين من شحم [7].

*وقال شاعر:

لا أعشق الأبيض المنفوخ من سُمن

لكنني أعشق السمر المهازيلا

٣-نهاية الإرب: ج٢ ص٣٨.

٤- عيون الأخبار ج٤ ص٤٠.

٥- المرجع السابق ج٤ ص ٤٣ .

٦- الذلفاء : المرأة صاحبة الأنف الصغير .

٧- العيناء : واسعة العينين .

٨- العقد الفريد ج٦ ص ١٠٧.

١- عيون الأخبار ج٤ ص٣٠ .

إني امرؤ أركب المهر المضمر في

يوم الرهاب وغيري يركب الفيلا

*والعرب يؤثرون العبلاء الجسم أو كما يقولون اللاتي أعلاهـن قـضيب وأسفلهن كثيب[1]. ولكنّ أكثر الناس خبرة بالنساء يقدمون المجدولة التي تكون بـين السمينة والممشوقة كأنَّها غصن بان، أو قضيب خيزران، وجدل عنـان[2] إذ يـرى الكثير من الرجال أن الثني في مشي المرأة أحسن ما فيها وهذا لا يكون في المرأة السمينة.

٢- كثيب: الدعص من الرمل.

٣- جدل عنان: السير المجدول .

الـــــروادف

*قال الشاعر:

ومجدولة جدل العنان إذا مشت

تنوء بخصريها ثقال الروادف[1]

*وقال الأعشى[2]:

غرَّاء فرعاء مصقولٌ عوارضها

تمشى الهوينا كما يمشى الوجل الوحل[3]

كأنَّ مشيتها من بيت جارتها

مرّ السحابة لا ريث ولا عجل[4]

الســــيقان وطــول المرأة وقِصرها

*وقال ذو الرمة واصفاً ساق المرأة:

لم أنسه إذ قام يكشف عامداً

عن ساقه كاللؤلؤ البرّاق

لا تعجبوا إن قام فيه قيامتي

إنَّ القيامة يوم كشف الساق

*وقال آخر:

جاءت بساق أبيض أملس

كلؤلؤ يبدو لعشاقها

*وعن الأصمعي: قال ابن زُبير: لا يمنعكم منْ تزوّج امرأة قصيرة قــصرها، فــإن الطويلة تلد القصير، والقصيرة تلد الطويل، وإياكم والمذكرة فإنها لا تنجب[5].

---

[1]- تنوء: تعجز، الروادف: العجيزتين.

[2]- الأعشى: هو ميمون بن قيس، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام، لُقب بصناجة العرب.

[3]- الغراء: البيضاء، الفرعاء: كثيرة الشعر الأسود، العوارض: مقدم الأسنان، الهوينا: البطء أو المشي علــى مهل، الوجى: الذي يشتكى حافره ، الوحل: الذي يمشي في الطين.

[4]- الريث: المشي ببطء . *روضة المحبين ص ٢٣٩ .

[5]- عيون الأخبار ج ٤ ص٣ .

*وقال أبو نواس:

أحلَلْت من قلبي هواك محلَّةً

ما حلها المشروب والمأكول

بكمال صورتك التي في مثلها

يتحير التشبيهُ والتمثيل

فوق القصيرة، والطويلة فوقها

دون السمين، ودونها المهزول

*وفى رواية أخرى أن عبد الملك بن مروان سأل أبى الرقاع عن علمه بالنساء فقال: أنا والله أعلم الناس بهن وجعل يقول:

قضاعيةُ الكعبين كندية الحشا

خزاعية الأطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف

ومنطق داود وعفة مريم[1]

*وفى رواية أن عبد الملك بن مروان قال لرجل من غطفان: صِفْ لي أحسن النساء، فقال: خذها يا أمير المؤمنين:

*ملساء القدمين	*درماء الكعبين[2]	*ناعمة الساقين
*جمَّاء الركبتين[3]	*لفاء[4] الفخذين	*مقرمدة الرفغين[5]
*ناعمة الأليتين[6]	*منيفة المأكمتين[7]	*ضخمة الذراعين
*فعمة العضدين[8]	*رخصة الكتفين[9]	*ناهدة الثديين
*حمراء الخدّين	*كحلاء العينين	*زجاء الحاجبين[10]
*لمياء[1] الشفتين	*بلجاء الجبين[2]	*شماء العرنين[3]

[1]- المستطرف ج٢ ص٣٥٣.

[2]- درماء الكعبين: مملوءة الكعبين.

[3]- جماء: ملساء.

[4]- لفاء: كثيرة اللحم.

[5]- المرافغ: أصول اليدين والفخذين.

[6]- الألية: العجيزة.

[7]- منيفة المأكمتين: عاليتهما ، المأكمتين : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين، والمأكمة: العجيزة.

[8]- فعمة العضدين: ممتلئة العضدين .

[9]- رخصة الكفين: ناعمة الكفين.

[10]- زجاء الحاجبين: خفيفة الحاجبين.

*شنباء الثغر[4] *محلولكة الشعر[5] *غيداء العنق[6]

*عيناء العينين *مكسرة البطن *ناتئة الركب.

قال: ويحك! وأين توجد هذه؟

قال: تجدها في خالص العرب وفى خالص فارس.

الخـــاطبـــــة

*ذكر الأستاذ جمال بدران في كتابه "الجواري والحظايا" أن عزَّة (الميلاء)[7] جاءها ذات يوم مصعب بن الزبير، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر، وسعيد بن العاص .. والثلاثة من أحفاد الخلفاء والصحابة .. طلبوا من عزة رأيها فيمن خطبوهن: عائشة بنت طلحة لمصعب، وأمَّ القاسم بنت زكريا بن طلحة لابن أبى بكر، وعائشة بنت عثمان لابن العاص.

توجهت عزَّة بصحبة جارية لها إلى عائشة بنت طلحة، فقالت لها: يتذاكر القوم بجمال النساء وخلقهن، وأنت منهن، فلم أدر كيف أصفك!! هيَّا اخلعي ثوبك فدتك نفسي! فاستجابت لها عائشة وأقبلت عليها ورجعت، فارتج كل شئ فيها، واستعادت ثوبها منها وهي تعقب: لقد قضيت لك يا عزَّة حاجتك، وبقيت حاجتي، وسألتها عزَّة بلهفة عماً هي هذه الحاجة، فأجابت: أن تغنيني صوتاً، فانطلق صوتها بغناء من أشعار جميل حتى وصلت إلى:

وأحسنُ خلْق الله جِيداً ومُقْلَة تشبه في النسوان بالشادن الطفل[8]

فنهضت عائشة منتشية، وقبّلت عزَّة بين عينيها، ثم منحتها أثواباً وجواهر.

ومثلماً سلكت الجارية الخبيرة مع عائشة، فعلت مع أمَّ القاسم وعائشة بنت عثمان، ثم عادت إلى الخُطّاب الثلاثة المنتظرين خارج المدينة، تدلى لكل منهم بما رأته عينها الفاحصة، ومزيدة عليها خبرتها بالنساء، فقالت لمصعب في وصفها: أما عائشة فلا والله ما رأيت مثلها مقبلة

---

[1]- لمياء الشفتين: خفيفة الدم ولطيفة المنظر.

[2]- بلجاء الجبين: صاحبة الجبين الأبيض الجميل الواسع.

[3]- العرنين: الأنف.

[4]- شنباء الثغر: أي بيضاء الأسنان، طيبة الرائحة.

[5]- محلوكة الشعر: سوداء الشّعر.

[6]- غيداء العنق: طويلة العنق.

[7]- عزّة الميلاء: كانت عزة مولاة للأنصار، ومسكنها بالمدينة، وهى أقدم من غنى الغناء الموقع من النساء بالحجاز، وكانت من أجمل النساء وجهاً وأحسنهن جسماً وسميت بذلك. وقيل أنها سُميت الميلاء لميلها في مشيتها، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء ويألفها الأشراف من أهل المروءات. وعزّة الميلاء هي صاحبة كُثير. انظر قصة الحب التي جمعت بينهما في باب "نساء عاشقات"، الكتاب الثاني من هذه السلسلة.

[8]- المقلة: العين، والشادن: ولد الظبية.

مدبرة، محطوطة المَتْنَيْن، عظيمة العجيزة، ممتلئة الترائب، نقية الثغر وصفحة الوجه، فرعاء الشَّعر، لفَّاء الفخذين، ممتلئة الصدر، خميصة البطن، ضخمة السُّرة، مسرولة الساقين، يــرتج ما بين أعلاها إلى قدميها، ثم أردفت ناقدة:

وفيها عيبان، أما أحدهما فكبيرة الأذن ويواريها الخمار، وأما الآخر فكبيرة القــدم ويواريــه الخف.

ثم التفتت إلى ابن الصديق لتقرر أن أمَّ القاسم: ما رأيت لها من مثيل، كأنها خوط بان يتثنى، ولو شئت أن تعقد أطرافها لفعلت!! ولكنها ضيقة الصدر وأنت عريض الصدر، فإذا كان ذلك كان قبيحاً، لا يعود الآن كذلك إذا ما ملأ كل شئ مثله.

ثم قالت لسعيد بن العاص: "وأما أنت بابن العاص فإني والله ما رأيت مثل خلق عائشة بنــت عثمان لامرأة قط، ليس فيها عيب! والله لكأنما أفرغت إفراغاً، ولكن في الوجه ما يصدك عنها مع جماله، وإن استشرتني أشرت عليك بوجه تستأنس به[1].

الحُسْن مرحوم

*ونظر ابن أبى ذئب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت، فقال لها: مَنْ أنتِ؟ فقالت:

من اللاءِ لم يحججن يبغين حسبةً ... ولكن ليقتُلن البرئ المغفلا

فقال لها: صان الله ذلك الوجه عن النار!

فقيل له: أفتنتك أبا عبد الله؟

قال: لا، ولكن الحُسْن مرحوم[2].

الدرر

*وأَلْبَست سكينة بنت الحسين ابنة لها دُراً كثيراً وقالت: والله مــا ألبــستها إيــاه إلا لتفضحه[3].

عينُ المقرور

*وكانت عائشة بنت طلحة من أجمل أهل زمانها، أو أجملهم، فقال أنس بــن مالــك: والله ما رأيت أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالــت: والله لأنا أحسن من النار في عين المقرور[4] في الليلة القارة[5].

---

[1]- الجواري والحظايا ص٢٩-٣٠.

[2]- العقد الفريد ج٧ ص١٠٢ .

[3]- عيون الأخبار ج٤ ص٢٥.

[4]- المقرور: الذي أصابه برد شديد.

[5]- الليلة القارة: الليلة الباردة . كتاب "روضة المحبين" ص٢٢٤.

أفلا قلت لي فألبس ثيابي

*ودخل عليها أنس يوما في حاجة فقال: إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك فينظـــروا إلي جمالك. قالت: أفلا قلت لي فألبس ثيابي[1].

كيف الحال؟

*وعن الشعبي قال: إني لفي المسجد نصف النهار إذ سمعت باب القصر يُفــتح فــإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة، فقال: يا شعبي اتبعني. فأتبعته، فأتى دار موسى بن طلحة، فدخل مقصورة، ثم دخل أخرى، ثم قال: يا شعبي اتبعني. فأتبعته؛ فإذا امرأة جالسة عليها من الحلي والجواهر ما لم أرَ مثله، ولها أحسنُ من الحلي الذي عليها، فقال: يا شعبي، هذه ليلـــى التي يقول فيها الشاعر:

وما زلتُ من ليلى لدن طرَّ شاربي

إلي اليوم أخفي حُبها وأداجنُ

وأحمل في ليلى لقوم ضغينة

وتحمل في ليلى عليَّ الضغائنُ

هذه عائشة ابنة طلحة، فقالت له: أما إذ جلوتني عليه فأحسنْ إليه! فقال: يا شـــعبي، رُح العشية إلى المسجد، فرُحْتُ، فقال: يا شعبي، ما ينبغي لمَنْ جليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف، فأمر لي بها وبكسوة وقارورة غالية. فقيل للشعبي في ذلك اليوم: كيف الحال؟ فقال: وكيف حال من صدر عن الأمير ببدرة [2]، وكسوة، وقارورة غالية، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة[3].

الأوصاف المحمودة

*ذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وأسرار العربية" الأوصاف المحمـــودة من خَلق المرأة فقال:

*إذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق فهي خوْدُ.

*إذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهي بهنكة.

*وإذا كانت ضخمة فهي زبجة.

- وإذا زاد ضخمها ولم تقبح فهي سبحلة .
- وإذا كانت دقيقة المحاسن فهي ممكورة .

---

[1]- المرجع السابق ص٢٢٥.

[2]- البدرة: كيس النقود.

[3] - العقد الفريد ج٧ ص١٠٣.

- وإذا كانت حسنة القد لينة العصب، فهي مبتَّلة.
- وإذا كانت لطيفة البطن فهي هيفاء وقباء وخُصْمانة.
- وإذا كانت لطيفة الكشخين فهي هضيم.
- وإذا كانت لطيفة الخِصر مع امتداد القامة فهي ممشوقة.
- وإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحُسْن فهي عُطبول.
- وإذا كانت عظيمة الوركين فهي هركولة.
- وإذا كانت عظيمة العجيزة فهي رَدَاح .
- وإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهيبي خدلجة.
- وإذا كانت ترتج في سمنها فهي مرمادة.
- وإذا كانت ناعمة وطويلة، فهي السرعوفة.
- وإذا كانت لم تتزوج قبلاً، فهي العاتق.
- وإذا كانت أحسن الناس حيث نظر الناظر فهي الفراء أي أحسن الناس وجهاً.
- فإذا كانت ترتعد من الرطوبة والغضاضة فهي برهرهة.
- وإذا كانت كأن الماء يجرى في وجهها فهي رقراقة.
- وإذا عرفت في وجهها نضرة النعمة فهب فُنُقٌ.
- وإذا كان بها فتور عند القيام لسمنها فهي أناةٌ ووهنانة.
- وإذا كانت طيبة الريح فهي بهنانة.
- وإذا كانت عظيمة الخلق مع الجمال فهي عبهرة.
- وإذا كانت ناعمة جميلة فهي عبقرة.
- وإذا كانت متثنية من اللين والنعمة فهي غيداء أو غادة.
- وإذا كانت طيبة الفم فهي رشوف.
- وإذا كانت طيبة ريح الأنف فهي أُنوف.
- وإذا كانت طيبة الخلوة فهي رصوف.
- وإذا كانت لعوباً ضحوكاً فهي شَموع.
- وإذا كانت تامة الشَّعر فهي فرعاء.
- وإذا لم يكن لمرفقيها حجم من سمنها فهي درماء .
- وإذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهي لفَّاء.
- وإذا كانت حيية فهي خفرة وخريدة.
- وإذا كانت تظهر للناس وتحادثهم فهي برزة.
- وإذا كانت منخفضة الصوت فهي رخيمة.

- وإذا كانت محبة للزوج متحببة إليه فهي عروب.
- وإذا كانت نفوراً من الريبة فهي نوار.
- وإذا كانت تجتنب الأقذار فهي قذوراً.
- وإذا كانت عروساً فهي هَدى.
- وإذا عرفت في وجهها نضرة النعيم فهي نظرة.
- وإذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشر فهي بضَّة.
- وإذا كانت بخاتم ربها فهي بكر وعذراء.
- وإذا فض خاتمها فهي ثيب وعوان.
- وإذا كانت عفيفة فهي حَصَان.
- فإذا أحصنها زوجها فهي محصنة.
- وإذا كانت عاملة الكفين فهي صَنَاع.
- وإذا كانت كثيرة الولد فهي نثور أو بنون.
- وإذا كانت قليلة الولد هي نزور.
- وإذا كانت تلد الذكور فهي مذكار.
- وإذا كانت تلد الإناث فهي مئناث.
- وإذا كانت تعاقب بين الذكور والإناث فهي معقاب أو مَهَاب.
- وإذا كانت لا يعيش لها ولد فهي مقلاة.
- وإذا كانت تأتى بتوأمين فهي مِيتام.
- وإذا كانت تلد النجباء فهي منجاب.
- فإذا كانت تلد الحمقاء فهي مُحمقة.
- وإذا كان لها ضرات فهى مضرة.
- وإذا كان يغشى عليها عند الجماع فهي رَبُوخ .
- وإذا كانت لا يراها أحداً إلا أعجبته، فهي مُقصدة.
- وإذا كانت خفيفة اللحم ومجدولة وممشوقة فهي السلهبة.
- وإذا كانت مفضلة عن النساء فهي الغرِّيرة.

*وإذا كانت فطنة حسناء فهي العيطموس.

البِكر والثيب والعجوز

قال الله تعالى: "إنَّا أنشأناهن إنشاءً فجعلنا أبكاراً* عُرباً أترابا[1]". قيل المراد نساء بنى آدم، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أعادهن بعد الكِبر والموت إلى حال الشباب "لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان"[2]. والعُرُبُ جمع العروب، وهي المتحببة إلى زوجها. قال المبرد: هي العاشقة لزوجها، الحسنة الكلام، والأتراب هنَّ اللواتي على ميلاد وسن واحد.

*وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالأبكار فإنهن أطيب أفواها[3]، وأنتق أرحاماً[4]، وأقل خباء[5] وأرضى باليسير من العمل[6]".

*وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمَّ سليم تنظر إلى امرأة فقال: "شمي عوارضها[7] وانظري إلى عَقِبها[8]".

*وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بعشر خصال لم يعطهن ذات خمار قبلها، فقالت: صُورت لرسول الله صلى الله وسلم قبل أن أُصور في رحم أمي، وتزوجني بِكراً، ولم يتزوج بكراً غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سحري ونحري، ونزلت براءتي من السماء[9]، وكنت أحبّ الناس إليه صلى الله عليه وسلم، وكان يصلى وأنا معترضة

---

[1]- سورة الواقعة، الآيات (٣٥ – ٣٧) .

[2]- سورة الرحمن، الآية (٧٤) .

[3]- أطيب أفواها: دلالة على عفة اللسان وطيب الكلام فالبكر يغلب عليها الحياء .

[4]- أنتق أرحاماً: دلالة إلى الاستعداد للحمل والإنجاب .

[5]- أقل خباء: أقل مكر وخديعة .

[6]- أخرجه ابن ماجة في "السنن (ج١ ص٥٩٨) الحديث رقم (١٨٦١) .

[7]- العوارض: الأسنان التي في عرض الفم، والمقصود معرفة إن كان للمرأة رائحة في الفم أم لا.

[8]- العقب: مؤخرة القدر .

[9]- إشارة إلى قصة الإفك .

بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيرى، ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري، وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه، وقبض الله نفسه وهو بين نحري وسحري، ومات الليلة التي كان يدور على فيهـــا، ودُفن في بيتي[1].

*وقيل: استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال له: سل ســـليمان وأخبرني بجوابه، فصادفه ابن سبع سنين وهو يلعب مع الصبيان راكبـــاً قـــصبة، فسأله فقال: عليك بالذهب الأحمر أو الفضة البيضاء، واحذر الفرس لا يضربك.

فلم يفهم الرجل ذلك، فقال له داود عليه الصلاة والسلام: الذهب الأحمـــر البِكر، والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح[2].

*وقال الحارث بن كلدة[3]: لا تنكحوا من النساء إلا الشابة، ولا تأكلوا مـــن الحيوان إلا الفتى، ولا من الفاكهة إلا النضج.

*وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان[4]: يا خالد، إنَّ الناس قد أكثروا في النساء، فأيهنّ أعجب إليك؟ قال: أعجبهن يا أمير المؤمنين التي ليـــست بالضرع الصغيرة[5]، ولا الفانية الكبيرة، وحسبك من جمالها أن تكون فخمـــة مـــن

---

[1]- أعلام النساء ج٣ ص١٦ .

[2]- المستطرف ج٢ ص٣٤٣.

[3]- الحارث بن كلدة: هو الحارث بن كلدة الثقفي، حكيم وطبيب مشهور في عصره .

[4]- هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري البصري، أحد فـــصحاء العرب، وله أخبار في البخل، كان يُجالس عمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، ولد ونـــشأ بالبصرة ، وكان أيسر أهلها مالاً، عاش إلى أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده، وكـــان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه، تُوفى بعد أنه كُفّ بصرة سنة نحو ١٣٣هـــ. (انظـــر "الأعلام" للزركلي ج٢ ص٢٩٧).

[5]- الضرع: الصغير في المكونات .

بعيد، مليحة من قريب، أعلاها قضيب، وأسفلها كثيب، كانت في نعمة ثم أصابتها فاقة، فأترفها الغنى وأدَّبها الفقر[1].

*وقال خالد بن صفوان لدلاّل: أطلب لي بكرا كثيب أو ثيباً كبكر، لا ضرعاً صغيرة، ولا عجوزاً كبيرة، لم تقر فتمحن[2]، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة. فخلق النعمة معها وذلك الحاجة فيها، حسبي من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد، مليحة من قريب، وحسبي من حسبها أن تكون واسطة في قومها، ترضى مني بالسنة، إن عشت أكرمتها وإن مت ورثتها[3].

*وفي رواية أخرى أنه قال: منْ تزوَّج امرأة فليتزوجها عزيزة في قومها، ذليلة في نفسها، أدبها الغنى وأذلها الفقر حَصَاناً[4] من جارها ماجنة[5] على زوجها.

*وقال خالد بن صفوان:

عليك إذا ما كنت لا بد ناكحاً	ذوات الثنايا الغُرّ والأعين النجل
وكل هضيم الكشح خفاقة الحشا	قطوف الخُطا بلْهاء وافرة العقل[6]

*وقالوا: أشهى المطي ما لم يركب وأحبّ اللآلي ما لم يُثقب وأنشد بعضهم:

قالوا نكحت صغيرة فأجبتهم	أشهى المطي إليَّ ما لم يُركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة	نظمت وحبة لؤلؤ لم تُثقب[7]

---

[1]- العقد الفريد ج٧ ص١٠٠ .

[2]- تمحن: المرأة التي يستمر زواجها لمدة طويلة قبل أن تطلق، ثم تزوج بسرعة بعد الطلاق .

[3]- عيون الأخبار ج٤ ص٥ .

[4]- حَصَاناً من جارها: المرأة الممتنعة الرزينة العفيفة .

[5]- ماجنة على زوجها: المرأة المغناج والمتحببة لزوجها .

[6]- هضيم الكشح: ضارم الكشح، والكشح: منقطع الأضلاع، وهذا كناية عن ضمور البطن. قطوف الخُطا: بطئ المشي .

[7]- هذه الأبيات تمثل بها الرشيد على ما حكاه الأصمعي، فقال: كنت عند الرشيد فأتى بجارية ليبتاعها، فأعجبته، فقال لمولاها: بكم الجارية؟ فقال: بمئة ألف درهم. فقال: ادفع المئة إليه يا غلام، فلما ولى قال: ردوا الجارية فردت، فقال: يا جارية أبكر أنتِ أم ثيب؟ فقالت: بل ثيب، فقال: ردوها على مولاها، ثم أنشد:

فأجابته امرأة:

إنَّ المطية لا يلذ ركوبها حتى تذلك بالزمام وتركبا

والدرّ ليس بنافع أربابه حتى يؤلف بالنظام ويثقبا[1]

*وقال أخر:

مطيات السرور فويق عشر إلى العشرين ثم قف المنايا

فإن جزت المسير فسر قليلاً وبنت الأربعين من الرزايا[2]

*ويقول يزيد بن هبيرة: آخر عُمر الرجل خير من أوله، يثـوب حلمـه، وتثقل حصاته، وتحمد سريرته، وتكمل تجاريه، وآخر عمر المرأة شر من أولـه، يذهب جمالُها، ويذرب لسانها، وتعقم رحمها، ويسوء خُلُقُها[3].

*وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهما قال: إذا قال لك أحـد، تزوجـت نصفاً[4]، فاعلم أن شر النصفين ما بقى في يده، وأنشد يقول:

وإن أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيب نصفها الذي ذهبا[5]

*وقال آخر:

فإياك إياك العجوز ووطأها فما هو إلا مثل سم الأراقم[6]

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم .. البيتين.

فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي بالجواب؟ قال: نعم، فأنشدت:

إن المطية لا يلذ ركوبها .. البينين.

قال: فضحك الرشيد، وقال: يا غلام ادفع ثمنها إلى مولاها وأمر لها بمئة ألف درهم في خاصـة، والبيتان الذي أنشدهما الرشيد هما من شعر أبي نواس، واللذان أنشدتهما الجارية هما مـن شـعر مسلم ابن الوليد الأنصاري. أنظر "مرآة الجنان" لليافعي ج١ ص٤٥٧.

[1]- المرجع السابق ج٢ ص٣٤٢.

[2]- المستطرف ج٢ ص٣٤٣.

[3]- العقد الفريد ج٧ ص١٠٥.

[4]- المرأة النصف : المرأة المتوسطة العمر .

[5]- المرجع السابق ج٧ ص١٠٧.

[6]- المستطرف ج٢ ص٣٤٣.

*ونظر شيخٌ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهي عجوز فقال:

عجوز نرجى أن تكون فتية	وقد لحب الجنبان واحدودب الظهرُ
تدسُّ إلى العطار سلعة بيتها	وهل يُصلح العطارُ ما أفسد الدهرُ
وما غرني إلا خضابٌ بكفها	وكحل بعينيها وأثوابها الصفرُ
وجاءوا بها قبل المحاق بليلة	فكان محاقاً كله ذلك الشهرُ[1]

*سأل كسري أعرابياً عن رأيه في إتيان النساء؟ فقال: كثـرة غـشيانهن رديء، وإياك والمرأة المولية، فإنها كالشن البالي[2]، تسقم بدنك، وتجـذب قوتـك، ماؤها سمٌ قاتل، ونفسها موتٌ عاجل، تأخذ منك ولا تعطيك، وعليك بإتيان الشباب، فإن الشابة ماؤها عذبٌ زلال، ومعانقتها غنجٌ ودلال، فوها بارد، وريقهـا عـذب، وريحها طيب، ورحمها حرج، تزيدك قوة إلى قوتك، ونشاطاً إلى نشاطك.

وعاد وسأله، فأي النساء القلب لها أبسط، والعين برؤيتها أنـس؟ قـال: إن أصبتها مديدة القامة، عظيمة الهامة، واسعة الجبين، عريضة الصدر، مليحة النحر، ناهدة الثديين، لطيفة الخصر والقدمين، بيضاء فرعاء، جعدة غضة، تخالهـا فـي الظلمة بدراً زاهراً تبسم عن أقحوان باهر، وإن تكشف تكشف عن بيضة مكنونـة، وإن تعانق تعانق ما هو ألين من الزبد، وأحلى من الشهد، وأبرد من القند[3]، وأعظم من الفردوس والخُلد، وأذكى ريحاً من الياسمين والورد[4].

*قال بعض القدماء من المحدَّثين:

*بنت عشر سنوات: لوزة مقشرة للناظرين.

*بنت خمس عشرة: لعبة للاعبين.

*بنت عشرين: ذات شحم ولحم ولين.

---

[1]- الكامل في اللغة والأدب ج١ ص١٨٢.

[2]- الشن البالي: القربة البالية .

[3]- القند: عسل قصب السكر .

[4]- العروس المرغوبة ص١٧.

*بنت ثلاثين: ذات بنات وبنين.

*بنت أربعين: عجوز في الغابرين.

*بنت خمسين: لا فائدة منها فاقتلوها بسكين.

*بنت ستين: عليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[1].

*ولما سُئل النعمان بن المنذر عن وصف النساء، أنشأ يقول:

متى تلق بنت العشر قد بضَّ ثديها	كلؤلؤة الغواص يهتز جِيدها
تجد لذة فيها لخفة روحها	وغرتها والحُسْن بعد يزيدها
وصاحبة العشرين لا شئ قبلها	فتلك التي يلهو بها مستفيدها
وبنت الثلاثين الشفاء حديثها	هي العيش ما راقت وما راق عودها
وإنْ تلق بنت الأربعين فغبطة	وخير نساء ودها ووليدها
وصاحبة الخمسين فيها بقية	هي العيش ما راقت وما راق عودها
وصاحبة الستين لا خير عندها	وفيها متاع والحريص يريدها[2]

أصناف النساء

*وعن الأصعمي قال: أخبرنا شيخ من بنى العنبر قال: كان يُقال النساء ثلاث: فهينة لينة: عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش، وأخرى وعاء للولد، وأخرى غُلٌّ قملٌ يضعه الله في عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء.

والرجال ثلاثة: فهين لين عفيف مسلم، يصدر الأمور مصادرها، ويوردها مواردها، وآخر ينتهي إلى رأى ذي اللب والمقدرة فيأخذ بأمره وينتهي إلى قوله، وآخر حائر بائر[3]، لا يأتمر لرشد، ولا يطيع مرشداً[4].

---

[1]- طرائف النساء ص ٢٠ .

[2]- المرجع السابق ص٥١-٥٢.

[3]- الحائر البائر: الرجل الضال التائه .

[4]- الأمالي ج٢ ص١٥٦.

*وعن أوفي بن دَلهم أنه كان يقول: النساء أربع، فمنهن مَعَمع[1] لها شـيئها أجمْع، ومنهن تبعٌ تضر ولا تنفع، ومنهن صدع[2] تفرق ولا تجمع، ومـنهن غيـث هَمِع إذا وقع ببلد أمرع[3].

قال الأصمعي: فذكرت بعض هذا الحديث لأبى عوانة فقال: كان عبـد الله بن عمير يزيد فيه: ومنهن القرثع: وهي التي تلبس درعها مقلوباً، وتكحُلُ إحـدى عينيها وتدع الأخرى[4].

*ويقول صفوان بن سليم: النساء أربع: امرأة مواسية مواتية مُحبة مُجنـةٌ يفوض إليها زوجها، فهي تمسك وتنفق بقَدْر، فتلك عامل من عمال الله عز وجـل، وامرأة مواسية ومواتية مُحبة مجنة يفوض إليها زوجها، فهي لا تُنفـق ولا تُـدبر، فتلك الماحق[5]، وامرأة بارك الله فيها لا يردها عـن زوجهـا إلا الله عـز وجـل والإسلام، فهي تحفظه في غيبة وتؤدى إليه حقه من نفسها، فتلك من أشراف النساء وأرفعهن عند الله منزلة، وامرأة حَسنٌ منظرها عجيبٌ مخبرها، حسن مالها، طيب طعامها، مُحبة لزوجها مُواتية له، فتلك سيدة النساء!

خيرُ النساء

*عن سلمان بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "خيـر نسائكم الولود الودود، المواسية المواتية، إذا اتّقين الله، وشرُّ نـسائكم المتبرجـات المتخيلات، وهُنّ المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم[6].

---

[1]- المعمع: المرأة المستبدة بمالها عن زوجها لا تواسيه منه .

[2]- الصدع: الشق .

[3]- أمرع: أخصب .

[4]- عيون الأخبار ج٤ ص٣.

[5]- الماحق: النار الموقدة .

[6]- أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم. حديث رقم (٣٣٣٠) في صحيح الجامع تحقيق الألباني وتخريج السيوطي ، والسلسلة الصحيحة برقم (١٨٤٩) .

*وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ النساء خير؟ قال: "التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله[1]".

*وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل علياً رضى الله عنه وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، عمّا هن خير النساء؟ فلم يدروا ما يقولون، فانصرف علي رضى الله عنه إلى فاطمة فذكر لها ذلك، فقالت: خيرُ النساء اللاتي لا يرون الرجال ولا يرونهن، فأخبر علي رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أعنك هذا أم من غيرك؟

قال: أخبرتني به فاطمة! فأعجب ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "إنما فاطمة بَضعةٌ منى".

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: خيرُ نسائكم العفيفة في فرْجها، الغَلِمة[2] لزوجها[3].

*وروى عن أبى الدرداء أنه قال: خيرُ نسائكم التي تدخل قيسا[4]، وتخرج ميساً[5]، وتملأ بيتها أقِطاً وحيسا[6].

*سُئل أعرابي عن النساء، وكان ذا هم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئاً جودت، التي تطيع زوجها، وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الولود، التي كل أمرها محمود[7].

---

[1]- أخرجه النسائي في "السنن" . حديث رقم (٣٢٩٨) .

[2]- الغلمة: الشديدة الشهوة .

[3]- عيون الأخبار ج٤ ص٢ .

[4]- تدخل قيساً: المرأة التي تعجل في خطوها.

[5]- تخرج ميساً: المرأة التي تخرج وهى تتبختر وتتثنى في مشيتها .

[6]- إقطاً : الجبن المصنوع من اللبن الحامض . حيساً: طعام مصنوع من التمر والسمن والإقط .

[7]- أخبار النساء لابن الجوزي ص١٦.

*وقيل أن الحجاج سأل ابن القرية عن أفضل النساء، فقال: أفضل النساء الغـضـّة البَضّة التي أعلاها قضيب وأسفلها كثيب[1]، اللعساء[2] الورهاء التي لم تذهب طـولاً في انحطاط، ولم تلصق قصراً في إفراط، الجعدة الغدائر[3] في الـسبطة الـضفائر، الضخمة المآكم[4] الطفلة البراجم[5]، إذا رأيت أناملها شبهتها بالمـدارى[6]، وإذا قامـت خلتها سارية من السواري، فتلك تهيج المشتاق وتحيى العاشق بالعناق.

*وقيل أن العجفاء بنت علقمة السعدي، خرجت وثلاث نسوة مـن قومهـا، وتواعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طلقة سـاكنة وروضة معشبة خصبة:

فلمّا جلسن قلن: ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضـة روضـة أطيـب رحيقاً ولا أنضر، ثم أفضن في الحديث، فقلن أيّ النساء أفضل؟

فقالت إحداهن: الخرود[7] الودود الولود.

وقالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء وطيب الثناء، وشدة الحياء.

وقالت الثالثة: خيرهن السموع[8]، النفوع غير المنوع.

وقالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها، الوادعة، الرافعة لا الواضعة!

قلن: فأي الرجال أفضل؟

---

[1]- كثيب: الدعص من الرمل.

[2]- اللعساء: المرأة التي في شفتيها سواد . رهاء : خرقاء .

[3]- الغدائر: الشعر المضفور.

[4]- المأكم: العجيزة .

[5]- الطفلة البراجم: صغيرة مفاصل الأصابع .

[6]- المدارى: مفردها مدراه أو مدرية وهى عبارة عن أداة من الحديد أو الخشب على هيئـة سـن من أسنان المشط ، تستخدم لمعالجة الشعر الجعد والمتلبد.

[7]- الخرود: المرأة البكر، وهى أيضاً الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة للصوت.

[8]- السموع: التي تستمع دائماً.

قالت إحداهن: خيرهم الحظيء الرّضيُّ غير الخطال ولا التبال[1].

قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم، ذو الحسب العميم، والمجد القديم.

قالت الثالثة: خيرهم السخي الوفي الذي لا يُعير الحَرّة، ولا يتخذ الضرة.

قالت الرابعة: وأبيكنّ إنّ في أبى لنعْتكن كرم الأخلاق، والصدق عند التلاق، ويحمده أهل الرفاق[2].

*وحكى الفضل أبو محمد، قال: حدثنا بعض أصحابنا، أن رجلاً من بني سعد مرت به جارية لأمية بن خالد بن عبد الله بن أسد ذات ظُرف وجمال، وكان شجاعاً فارساً، فلما رآها قال: طوبى لمَنْ كان له امرأة مثلك، ثم أتبعها رسولاً يسألها، ألها زوج ويذكره لها، وكان جميلاً.

فقالت للرسول: وما حرفته؟

فأبلغه الرسولُ ذلك. فقال: ارجع إليها، وقل لها:

وسائلٌ ما حرفتي، قلت: حرفتي	مقارعة الأبطال في كل شارق
إذا عرضت خيل لخيل رأيتني	أمام رعيل الخيل أحمى حقائقي[3]
أصبر نفسي حين لم أر صابراً	على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول فأنشدها ما قال، فقالت له: ارجع إليه وقل له: أنت أسد فاطلب لك لبوة فلست من نسائك وأنشدته تقول:

إلا إنما أبغي جواداً بماله	كريماً محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان خود خريدة	يعانقها في الليل فوق النمارق[4]

*وحكى أنه كان لرجل من مقاول حمير ابنان قد برعا في الأدب والعلم، وكان اسم أحدهما عمراً والآخر ربيعة، قال: فلمّا بلغ الشيخ أقصى عمره دعاهما

---

[1]– الخطال: البخيل. والتبال: الحقود.

[2]– مجمع الأمثال ج٢ ص١٣٤.

[3]– حقائقي: راياتي .

[4]– خود خريدة: فتاة بكر. النمارق: الفراش.

ليبلوا[1] عقولهما ويعرف مبلغ علمهما، وقال للأكبر: يا عمرو، أخبرني عن أحبّ النساء إليك؟ فقال:

الهركولة[2] اللفاء[3]، الممكورة[4] الجيداء[5]، التي يشفي السقيم كلامها، ويبرى الوصف إلمامها التي إنْ أحسنت إليها شكرت، وإنْ أسأت إليها صبرت، وإنْ استعتبتها أعتبت، الفاترة الطرْف، الطفلة الكف[6]، العميمة الردف.

قال: ما تقول يا ربيعة؟

قال: نعت فأحسن وغيرها أحبّ إليَّ منها.

قال: ومن هي؟

قال: الفتانة العينين، الأسيلة الخدين، الكاعب الثديين، الرادح[7] الوركين، الشاكرة القليل، المساعدة للخليل، الرخيمة الكلام[8]، الجمَّاء العظام[9]، العذبة اللثام، الكريمة الأخوال والأعمام.

*وقال الحجاج لابن القرية: أيّ النساء أحبّ إليك؟ قال: الولود الودود، التي أعلاها عسيب[10] وأسفلها كثيب، آخذهن من الأرض إذا جلست، وأطولهن في السماء إذا قامت، والتي إنْ تكلمت رودت[11]، وإنْ مشت تأودت، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الحَصَان من جارها، الهلوك إلى بعلها.

---

[1]- يبلوا: يختبر.

[2]- الهركولة: العظيمة الوركية .

[3] - اللفاء: الملتفة اللحم.

[4]- الممكورة :المطوية الخلق .

[5] - الجيداء: الطويلة العنق .

[6] - الطفلة الكف: الرخصة .

[7]- الرداح: الثقيلة العجيزة والضخمة الوركين .

[8]- الرخيمة الكلام: اللينة الكلام.

[9]- الجماء العظام: المرأة التي لا يوجد لعظامها حجم .

[10]- عسيب: جريدة النخل التي كشط خوصها .

[11]- رودت: لانت.

وعاد الحجاج فسأله أي النساء أعجب إليك؟ فقال: الشفاء العطبول[1]، المنعاج الكسول[2]، التي لم يشنها قصر ولا طول.

*قال معاوية[3] لصعصعة[4]: أيّ النساء أحبّ إليك؟

قال: المواتية[5] لك فيما تهوى.

قال: فأيهن أبغض إليك؟

قال: أبعدهن لما ترضى[6].

قال معاوية: هذا النقد العاجل.

فقال صعصعة: بالميزان العادل[7].

*وقيل لابنة الخُسّ: أيّ النساء أحبّ إليكِ.

قالت: البيضاء العطرة، كأنها ليلة قمرة.

وقيل: أيّ النساء أبغض إليكِ؟

قالت: العنفص[8] القصيرة، التي إنْ استنطقتها سكتت، وإنْ سكت عنها نطقت[9].

---

[1]- العطبول: المرأة صاحبة العنق الطويل والمعتدل الحسن الهيئة .

[2]- المنعاج: النعج: الابيضاض الخالص .

[3]- معاوية بن أبى سفيان: مؤسس الدولة الأموية في الشام سنة ٦٣٦ .

[4]- صعصعة: هو صعصعة بن صوجان العبدي، من سادات عبد القيس من أهل الكوفة، كان خطيباً بليغاً عاقلاً، شهد صفين مع علي بن أبي طالب.

[5]- المواتية: الخاضعة والراضية.

[6]- أبعدهن لما ترضى: أي المخالفة لأهوائه.

[7]- أخبار النساء ص ١٥ .

[8]- العنفص: المرأة البذيئة القليلة الحياء .

[9]- ذيل الأمالي والنوادر ج١ ص١١٩ .

*وسُئل المغيرة بن شعبة[1] عن صفة النساء، فقال: بناتُ العم أحسن مواساة، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأقران مثل ابن السوداء.

*وقال الأصعمي: أتاني رجل من قريش يستشيرني في امــرأة يتزوجهــا، فقلت: يا ابن أخي، أقصيرة النسب أم طويلته، فلم يفهم عني.

فقلت: يا ابن أخي، أمَّا القصيرة النسب فالتي إذا ذكرت أباها اكتفــت بــه، والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها، فإياك أن تقع مع قوم قد أصابوا كثيراً من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم[2].

*وقالوا: إنْ أردت أن ينجب ولدك فأغضبها ثم قعْ عليها. قال الشاعر:

ممنْ حملن به وهنّ عواقد   حبك النطاق فعاش غير مهبل

حملت به في ليلة مزورة   كرها وعقد نطاقها لم يحلل[3]

*وقال رجل لخاطب: ابغِ لي امرأة لا تؤنس جاراً، ولا توطن داراً، يعنــي لا تدخل على الجيران، ولا تدخل الجيران عليها، وفي مثل هذه قال الشاعر:

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف   عيطاء غامضة الكعبين معطار

خودٌ من الخفرات البيض لم يرها   بساحة الدار لا بعل ولا جار

*وقال الأعشى:

لم تمش ميلاً ولم تركب على جمل   ولم تر الشمس إلا دونها الكلل[4]

---

[1]- المغيرة: هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود الثقفي، أســلم عــام الخنــدق، وشــهد الحديبية وما بعدها، وولى العراق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، وكان مــن رجــال الــدهر حزماً وعزماً ورأيا ودهاء ، يُقال له (مغيرة الرأي)، شهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، كان أول من وضع ديوان البصرة، وأول من سلم عليه بالإمرة، تُوفى سنة (٥٠هــ) وقيل (٥١هــ) وقيــل (٥٨هــ) ، والأول أرجحهم. انظر "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر ج٣ ص٤٥٢ ترجمــة (٧١٧٩) .

[2]- المستطرف ج٢ ص٣٥١.

[3]- المرجع السابق ج٢ ص٣٥٤.

[4]- المرجع السابق ج٢ ص٣٥٢.

*وعن أبى الحسن المدائني، قال: قال يزيد بن عمر بن هُبيرة: اشتروا لي جارية شقّاء مقّاء رسحاء، بعيدة ما بين المنكبين، ممسوحة الفخذين. قوله: شـقّاء، يريد كأنها شقة جبل، مقّاء: طويلة، رسحاء: صغيرة العجيزة، أرادهـا للولـد، لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة[1].

*قال أبو عمرو بن العلاء: أعلم الناس بالنساء عَبَدة بن الطيب حيث يقول:

فإن تسألوني بالنساء فإنني عليم بأدواء النساء طبيبُ

إذا شاب رأس المال أو قل ماله فليس له في وده نصيبُ

يردن ثراء المال حيث علمنه وشرخُ الشباب عندهن عجيبُ

وهذه الأبيات لعلقمة بن عبدة المعروف بالفحل وأول القصيدة:

طحا بك قلبٌ في الحساب طَروبُ[2]

*وحكى الأصمعي، قال: حدّثنا جميع بن أبى غاضرة، وكان شيخاً مـسنناً من أهل البادية من ولد الزبرقان بن بدر من قِبل النساء - قال: كان الزبرقان يقول: أحبُّ كنائني[3] إليَّ الذليلة في نفسها، العزيزة في رهطِها، البرزة[4]، الحيية التي فـي بطنها غلام ويتبعها غلام. وأبغض كنائني إليَّ الطلعة الخبأة، التي تمشى الـدَّفقي[5] وتجلس الهبنقعة[6]، الذليلة في رهطها، العزيزة في نفسها، التي في بطنهـا جاريـة وتتبعها جارية[7].

---

[1]- المرجع السابق.

[2]- المرجع السابق.

[3]- كنائن: امرأة الابن، ومفردها كنة.

[4]- البرزة : المرأة الموثوق برأيها وعفافها والواضحة الجمال .

[5]- الدفقى : المرأة التي تمشى بخطوات واسعة .

[6]- الهبنقة: المرأة التي تجلس متربعة وتمد إحدى رجليها في تربعها .

[7]- العروس المرغوبة ص٢٣.

*رُوى أنّ النعمان بن امرؤ القيس بن عمرو بن نضر بعث إلى نسوة من العرب، منهن فاطمة بنت الخرشب، وهي من بنى أنمار بن بغيض، وهي أم الربيع بن زياد واخوته، وإلى قيلة بنت الحساس الأسدية، وهي أمّ خالد بن صخر بن الشرير، وإلى تماضر بنت الشريد، وهي أم قيس بن زهير واخوته كلهم، وإلى الرواع النمرية، وهي أمّ يزيد بن الصعق. فلمّا اجتمعن عنده، قال: إني قد أخبرت بكن وأردت أنْ أنكح إليكن، فأخبرنني عن (صفات) بناتكن؟

فقالت فاطمة:

عندى الفتحاء العجزاء[1]، أصفى من الماء وأرق من الهواء، وأحسن من السماء.

وقالت تماضر:

عندي منتهى الوصاف، دفية اللحاف قليلة الخلاف.

وقالت الرواغ:

عندى الحلوة الجهمة[2] لم تلدها أمه.

وقالت قيلة:

عندي ما يجمع صفاتهن، وفي ابنتي ما ليس في بناتهن.

فتزوج إليهن جميعاً، فلمّا أُهدين إليه، دخل على ابنة الأنمارية فقال: ما أوصتك أمك؟

قالت: قالت لي: عطِّري جلدك وأطيعي زوجك واجعلي الماء آخر طِيبك.

ثم دخل على ابنة السلمية فقال: ما أوصتك به أمك؟

قالت: قالت لي: لا تجلسي بالفناء ولا تكثري من المراء، واعلمي أن طيب الطيب الماء.

ثم دخل على ابنة النمرية فقال: ما أوصتك به أمك؟

---

[1]- العجزاء: عظيمة العجز.

[2]- الجهمة: امرأة (جهمة) الوجه أي كالحة الوجه.

قالت: قالت لي: لا تطاوعي زوجك فتمليه، ولا تعاصيه فتشكيه، وأصـــدقيه الصفاء، واجعلي آخر طيبك الماء.

ثم دخل على ابنة الأسدية فقال: ما أوصتك به أمك؟

قالت: قالت لي: أُدني سترك وأكرمي زوجك واجتنبي الإبـــاء واسـتنظفي بالماء[1].

*عن أبى بردة عن أبى موسى قال: وجهني الحجاج لأخطب له هنداً بنت أسماء بن خارجة، فلمّا خطبها من أبيها وزوجها منه وكانت حاضرة قامت مبـــادرة وعليها مطرّف خز أسود، فو الله رأيته دخل بين ظهرها وعجيزتها، ولـــم تـــستقل قائمة حتى انتثت ومالت لأحد شقيها من لحمها، فعرَّفت الحجاج بذلك، فوجَّه إليهـــا ثلاثين غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم وثلاثين جارية مع كل جارية تخـــت ثياب، وقال لها: إني أكره أن أبيت خلواً ولي زوجة، فقالت: وما احتباس امرأة عن زوجها؟ وقد ملكها وآتاها صداقها وكرامتها. ثم أصلحت شأنها وأتته من ليلتها!

وروى المدائني بلسان المرأة التي تولت زفها أنها قالت: دخلنا على الحجاج وهو في بيت عظيم في أقصاه ستارة وهو دون الستارة على فرشه، فلمّا دخلت عليه سلمت فأوماً إليها بقضيب كان في يده، فجلست عند رجليه، وسكت ساعة لا يـــتكلم ونحن وقوف، فضربت بيدها على فخذه وقالت: ليس هذا وقت سوء الخُلق!

فتبسم وأقبل عليها، واستوى جالساً، فدعوناً له وأرخينا الستور عليهما[2].

[1] – بلاغات النساء لابن طيفور .

[2]-الأغاني ج١٨ ص١٢٩–١٣٠.

شرار النساء

*قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انظر في أيّ شئ تضع ولدك فإن العرق دساس[1]".

*وقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم وخضراء الدمن"، قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: "المرأة الحسناء في المنبت السوء"، وأنشدوا فيه:

إذا تزوجت فكن حاذقاً ... واسأل عن الغصن وعن منبته

*وقال بعضهم:

أوّل خبث الماء خبث ترابه ... وأوّل خبث القوم خبث المناكح[2]

*قال ابن حبان في صحيحه:

أربعٌ من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الحسن والمركب الهني.

وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق!

*في حكمة داود عليه السلام: إن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله تعالى عنه. وقيل: المرأة السوء غُلٌ يلقبه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده.

*وقال داود عليه الصلاة والسلام: المرأة السوء على بعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير، والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها، والله أعلم[3].

*وعن علي بن زيد قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ثلاثٌ من الفواقر[4]: جار مقامة، إنْ رأى حسنة سترها، وإنْ رأى سيئة أذاعها، وامرأة إنْ

---

[1]- ذكره المتقي الهندي في "منتخب كنز العمال" ج٦ ص٤٦٧.

[2]- المستطرف ج٢ ص٣٤٣.

[3]- المرجع السابق ج٢ ص٣٤٣.

[4]- الفواقر: الدواهي.

دخلتْ لَسَنَتْك[1]، وإنْ غبت عنها لم تأمنها، وسلطانٌ إنْ أحسنت لم يحمدك وإنْ أسأت قتلك[2].

*وقال عمر بن الخطاب: النساء ثلاث: هينة عفيفة مسلمة، تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها. وأخرى وعاء للولد. وثالثة غُلٌّ قَمِل يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده.

*وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر[3].

*وقال الإمام علي كرَّم الله وجهه: بُنيت الفتنة على ثلاث: النساء، وهُنّ فخ إبليس المنصوب، والشرابُ وهو سيفه المرهف، والدينارُ والدرهم وهما سهمان مسمومان[4].

*وقال أبو الدرداء: إنَّ شر نسائكم السلفعة[5]، التي تسمع لإضراسها قعقعة[6]، ولا تزال لجارتها مفزعة.

*ومن موعظة طويلة لأبى الدرداء قال فيها: والشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان[7].

*وسأل الحجاج ابن القرية: أيّ النساء أبغض إليك؟ فقال: الرعينة[8]، القصيرة، الباهق[9] الشريرة.

---

[1]- لسنتك: نقدتك بلسانها وذكرتك بالسوء .

[2]- عيون الأخبار ج٤ ص٤.

[3]- أخبار النساء ص١٢٦ .

[4]-صيد الخاطر ص٢١٨.

[5]- السلفعة: البذيئة الفاحشة .

[6]- قعقعة: صوت .

[7]- الزهد للإمام أحمد بن حنبل ص٢٠٥.

[8]- الرعينة: الحمق والاسترخاء .

[9]- الباهق: المصابة بمرض البهاق وهو عبارة عن بياض في الجسد يختلف عن البرص .

*قال الأصعمي: قال ابن زبير: لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدى منها، قيل له: كيف ذلك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأمها فإنها تجُرُّ[1]بأحدهما.

وقال أيضاً: إذا اسودّ عقب المرأة اسودّ سائرها[2].

*قال الإمام علي كرَّم الله وجهه: خيارُ خصال النساء، شرار خصال الرجال: الزّهو والجُبن والبخل. فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكِّن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فَرِقَتْ من كل شئ يعرض لها[3].

*ويُقال: إنَّ المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فإن علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرْف عنه، كأنها تنظر إلى إنسان غيره من ورائه، وإنْ كانت مُحبة له لا تقلع عن النظر إليه. قال بعضهم:

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي　　ولكن قرين السوء باق معمر

فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً　　وعذبها فيه نكير ومنكر[4]

*وقال يزيد بن عمر بن هبيرة: لا تنكحن برشاء[5]، ولا عمشاء، ولا وقصاء[6]، ولا لثغاء، فيجيئك ولدُ ألثغ، فو الله لولد أعمى أحبّ إليَّ من ولدٍ ألثغ.

وقال يصف امرأة لثغاء:

أول ما أسمع منها في السَّحَرْ　　تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكَرْ

والسَّوْءة السَّوداء في ذكرِ القمرْ[7]

---

[1]- تجر بأحدهما: يعنى أن خلقها له علاقة بإحدى والديها .

[2]-عيون الأخبار ج٤ ص٨.

[3]-شرح نهج البلاغة ج٤ ص٥٢.

[4]- المستطرف ج٢ ص٣٤٣.

[5]- برشاء: جلدها منقط بالبياض .

[6] - قصاء: قصيرة العنق .

[7]-العقد الفريد لابن عبد ربه ج٧ ص١٠٦.

*وفي رواية محمد بن عبد السلام الخشني، قال: إياك وكل امرأة مذكرة منكرة، حديدة العرقوب[1]، بادية الظّنبوب[2]، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشى السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة، إنْ دخل خرجت، وإنْ خرج دخلت، وإنْ ضحك بكت، وإنْ بكى ضحكت، وإنْ طلقها كانت حرفته، وإنْ أمسكها كانت مصيبته، سعفاء[3]، ورهاء[4]، كثيرة الدّعاء[5]، قليلة الإرعاء، تأكل لمّاً[6]، وتوسع ذمّاً، صخوب غضوب، بذيّة دنية، ليس تطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها، ضيقة الباع، مهتوكة القناع، صبيها مهزول، وبيتها مزبول، إذا حدَّثت تشير بالأصابع، وتبكى في المجامع، بادية من حجابها، نبّاحة على بابها، تبكى وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة، قد دُلِّيَ لسانها بالزور، وسال دمعُها بالفجور.

*وقيل لأعرابي علاّم بالنساء: صفْ لنا شرّ النساء. قال: شرُّهن النحيفة الجسم، القليلة اللحم، الطويلة السقم، المحياض الممراض الصفراء، المشؤومة العسراء، السليطة الذفراء[7]، السريعة الوثبة، كأن لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتقول الكذب، وتدعو على زوجها بالحرب، أنفٌ في السماء، وإستُ في الماء[8].

*ذكر الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين": أنه قيل لابنة الخُس: أيّ النساء أسوأ؟ قالت: التي تقعد بالفناء، وتملأ الإناء، وتمدق ما في الشقاء.. وقيل لها: أيّ

---

[1] – العرقوب: عصب غلسظ فوق العَقب.

[2] – الظنبوب: حرف عظم الساق من قدم .

[3] – سعفاء: سوداء .

[4] – رهاء: حمقاء .

[5] – الدّعاء: أي تدعو على الغير بالهلاك والشرور.

[6] – لّما: أي شديدا بمعنى أنها لا تترك من الطعام شيئا.

[7] – الذفراء: المنتنة رائحة الفم .

[8] – العقد الفريد لابن عبد ربه.

النساء أفضل؟ قالت: التي إذا مشت أغبرت[1]، وإذا نطقت صرصـــرت[2]، متوركـــة جارية، في بطنها جارية، يتبعها جارية (أي هي مئنات)[3].

*وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنيّ إنما مثل المرأة السوء كمثـــل الـــسيل لا ينتهي حتى يبلغ ما يريد فأنعتها لك حتى تعزلها. يا بنيّ! إنها إنْ تكلمتْ أســـمعتْ، وإذا مشتْ أسرعتْ، وإذا قعدتْ وقفتْ، وإذا غضبتْ سَمعتْ لأنيابها فغـــدت مثـــل أنياب الفحل!، وإذا دخلَ عليها زوجها صكتْ في وجهه، وإذا خرج عنها لعنته في ظهره. كل شرّ ينقص إلا شرّ المرأة السوء، وكل داء يبرأ إلا داء المـــرأة الـــسوء. إنما مثلها كمثل خطبة ثقيلة على رقبة شيخ كبير! وقرٌ على وقـــر! لا يـــستطيع أنْ يضعها عنه ولا أن يحملها.

يا بنيّ! لأن تساكن الأسد والأسود خير من أن تساكنها، تبكي وهي ظالمـــة وتحكم وهي الجائرة وتنطق وهي الجاهلة. وهي أفعى بلدغها.

*وقيل: إن جعفر بن سليمان بن علي[4] عاب يوماً على أولاده، وأنهم ليسوا كما يحب، فقال له ولده أحمد بن جعفر: إنك عمدت إلى فاسقات مكة والمدينة وإماء الحجاز، فأوعيت فيهن نطفك، ثم تريد أن ينجبن، وإنما نحن كصاحب الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل أبوك فيك حين اختار لك عقيلة[5] قومهـــا فزوَّجهـــا منـــك، وأنشدوا:

صفاتُ مَنْ يستحب الشرع خطبتها   بلوتها لأولى الألباب مختصراً
صبية ذات دين زانه أدب   بكر ولود حكت في نفسها القمرا
غريبة لم تكن من أهل خاطبها   تلك الصفات التي أجلو لمنْ نظراً

---

[1]- اغبرت: أثارت الغبار في مشيتها .

[2]- صرصرت: أحدث صوتها .

[3]- مئنات: المرأة التي تلد الإناث .

[4]- يُقال أن أم المنصور ليست من العرب، بل هي من مولدات البصرة، والمولدة هي جارية استولى عليها ســـيدها لتكون أم ولد له .

[5]- عقيلة: امرأة كريمة حرة .

فيها أحاديث جاءت وهي ثابتة   أحاط علماً بها من في العلوم قرا[1]

*قيل قديماً: إنَّ النساء على عشرة أوصاف من الحيوانات. خنزير، وقرد، وكلب، وحية، وبغلة، وعقرب، وفأرة، وطيرة، وثعلب، وغنمة.

-فأما التي كالخنزير: فهي التي لا تعرف غير الأكل، وحشو البطن، وكسر الآنية.

-وأما التي كالقرد: فهي التي يكون همُّها في لبس الثياب الملونة، واللؤلؤ، والذهب، وتعظيم منزلتها عند بعلها.

-وأما التي كالكلب: فهي التي إذا كلمها زوجها صاحت عليه، وخاصمته وسابته، ومتى نظرت إلى كيس زوجها ملآنة، أكرمته وتقربت منه وقالت: ليتني أموت قبلك. وإذا رأته فقير نهرته وسبت عرضه وعايرته وهذا هو الغالب على نساء أهل هذا العصر.

-وأما التي كالحية: فهي التي تلين كلامها لزوجها، وغالب أوقاتها شريرة فهي تشبه الحية، لمسها لين، وسمها قاتل.

-وأما التي كالبغلة: فهي التي تكون حرونة.. إذا وقفت في حرّ، وإذا ضربت لا تبرح، وتكون لجوجة منفردة برأيها، معجبة بنفسه<h

-وأما التي كالثعلب: فهي التي إذا خرج زوجها من البيت، أي شئ وجدته في البيت أكلته وتمردت، وفتحت باب الخصومة والمشاحنات.

-وأما التي كالغنمة: فهي المباركة الرحيمة التي هي كل شئ يأتي منها كله خير وسعادة وهناء.

*قال العرب: إنَّ على راغب الزواج أن يبتعد عن ستة أنواع من النساء هن:

- الأنانة
- والحنانة
- والمنانة
- والحدّاقة
- والبرّاقة

[1]- المستطرف ج٢ ص٣٥١.

- والشدّاقة

-أما الأنانة: فهي التي تكثر من الأنين والشكوى في كل ساعة وكل وقت بسبب وبلا سبب.

-والحنانة: هي التي تحن إلى زوج آخر، أو لا ترضى بوضعها مع زوجها، وتقارن بينه وبين غيره من الرجال.

-والمنانة: هي التي تمن على زوجها، فتقول: فعلت من أجلك كذا وكذا.

-والحداقة: هي التي ترمى إلى كل شئ بحدقتها؛ أيّ بعينيها، فتشتهيه وتشتريه، أو تكلف زوجها بشرائه.

-والبراقة: هي التي تظل طوال النهار تصقل وجهها، وتزينه وتبالغ في ذلك مبالغة شديدة.

-والشداقة: وهي المتشدقة الكثيرة الكلام بفائدة وبغير فائدة[1].

*وأوصى رجلاً ابنه الذي عزم على الزواج فقال له: يا بني، إياك والرقوب[2] الغضوب[3]، القطوب[4]، الغلباء[5]، الرقباء[6]، اللفوت[7]، الشوساء[8]، المنانة، الأنانة، الحنانة، واعلم أن من النساء جماعاً يجمعْ، وربيعاً تَرْبع، وخروجاً تطلُع، توهي الخَرق[9]، ولا تَرْفع[10].

---

[1]- المرجع السابق ص ٢٢-٢٣.

[2]- الرقوب: من تراقب موت زوجها لترثه .

[3]- الغضوب: المرأة التي تغضب بسرعة .

[4]- القطوب: الدائمة العبوس .

[5]- الغلباء: الغليظة .

[6]- الرقباء: الرقبة .

[7]- اللفوت: المرأة التي تنظر لأكثر من رجل .

[8]- الشوساء: المتكبرة أو المتعجرفة .

[9]- توهي الخرق: تزيد الخرق إتساعاً .

[10] – العروس المرغوبة ص ٨-٩ .

المصادر والمراجـــع

١- أحكام النساء، الإمام أبى الفرج جمال الدين بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق زياد حمـدان ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان ١٩٨٨ .

٢- أخبار النساء في العقد الفريد لابن عبد ربه، جمع وشرح عبد مهنا وسمير جابر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٦ .

٣- أخبار النساء في كتاب الأغاني، عبد الأمير مهنا، ط ا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيـروت، لبنـان، ١٩٨٨.

٤- أخبار النساء في التراث العربي، ابن الجوزي، تحقيق إيهاب كـريم، ط ا، دار النـديم، بيـروت، لبنان، ١٩٩١،

٥- أدب الدنيا و الدين، الماوردي، تحقيق مصطفي السقا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، ١٩٥٥.

٦- أدب الكتاب، ابن قتيبة، تحقيق على فاعور، ط ا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

٧- أعلام النساء في عالمي العرب و الإسلام، عمر رضـا كحـال، ٥ج، ط٩، مؤسـسة الرسـالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩.

٨- الأعلام، خير الدين الزركلـي (ت١٩٧٦م)، ٨ج، ط٦، دار العلـم للملايـين، بيـروت، لبنـان، ١٩٨٤هـ .

٩- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦م)، ١٨ج، ٩مج، ط ا، دار إحياء التراث، بيروت .لبنـان، ١٩٩٤.

١٠- ألف حكاية وحكاية (من الأدب العربي القديم)، حسين أحمد أمـين، الهيئـة المـصرية العامـة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة القاهرة، ١٩٩٨.

١١- الأمالي، الإمام أبى على القالي، ط٢، دار الحديث للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ١٩٤٨.

١٢- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الإمام الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، تحقيـق الـشيخ خليل إبراهيم، ط٢، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٩١.

١٣- البداية و النهاية، ابن كثير، ١٤ج، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.

١٤- البيان و التبين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هـارون، ط٤، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ١٩٧٥.

١٥- تاريخ الأمم و الممالك، الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفاضـل إبـراهيم،ط٢، ١١ج، ١١مج، روائع التراث العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.

١٦- تحفه العروس، محمود مهدي الإستنابولي، ط٦، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

١٧- تنبيه الغافلين، الليث السمرقندي، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

١٨- التيجان، وهب بن منبه، رواية بن هشام، حيدرأباد: ٣باد، ط ا، ١٣٧٤هـ.
١٩- الجواري، د. جبور عبد النور، ط٢، سلسلة إقرأ.٦ ، دار المعارف، القاهرة.
٢٠- الجواري و الحظايا، جمال بدران، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣.
٢١- الحب المثالي عند العرب، د. يوسف خليف، دار قباء للطباعة والنشر و الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٨.
٢٢- حياة الصحافة، محمد يوسف الكاندهلوى، تحقيق الشيخ نايف العباس و محمد علي دولة،ط٢، دار القلم، دمشق.سوريا، ١٩٨٣.
٢٣- الداء و الدواء، ابن القيم الجوزية، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة، ١٩٨٧.
٢٤- ذيل الأمالي و النوادر، الإمام أبى علي القالي، ط٢، دار الحديث للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
٢٥- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام، الرياض، ١٩٩٣.
٢٦- روضة العقلاء و نزهة الفضلاء، الإمام أبى حاتم محمد، تحقيق محمد عبد الحميد و محمد عبد الرزاق حمزة و محمد حامد الفقي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٧٧.
٢٧- روضة المحبين و نزهة المشتاقين، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
٢٨- رياض الصالحين، الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النوري، ط١، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان ١٩٨٥ .
٢٩- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، لبيان ١٩٨٨ .
٣٠- الزهد، حسن البصري، تحقيق د. محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث بالقاهرة، ودار الوليد بجدة، السعودية.
٣١- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفي السباعي، ط٥، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا . ١٩٨٠
٣٢- الشعر والشعراء (أو طبقات الشعراء)، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم أبو محمد (ت٢٧٦هـ)، تحقيق د. مفيد قميحه، ط٢، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٥ .
٣٣- شهيرات نساء العرب والإسلام، محمد رفعت، ط١، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٩٦ .
٣٤- صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفي ديب، ط١، دار ابن كثير، دمشق وبيروت ١٩٩٠ .
٣٥- طرائف النساء في التراث العربي، إيهاب كريم، ط١، دار النديم، بيروت، لبنان، ١٩٩١.
٣٦- طرائف النساء رضا ديب ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٠ .
٣٧- العروس المرغوبة، محي الدين محمد عبد الواحد، ط١، الرياض، ١٩٩٦ .
٣٨- العشاق الثلاثة، زكي مبارك، ط٢، سلسلة إقرأ ٢٦، دار المعارف القاهرة .

٣٩- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٧هـ)، ٦ ج ،تحقيق أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٩٩١ .

٤٠- عيون الأخبار، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم أبو محمد (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٦ .

٤١- فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار السلام، القاهرة ١٩٩٤ .

٤٢- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور الثعالبي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان .

٤٣- قصص الحب العربية، عبد الحميد إبراهيم محمد، ط١، سلسلة إقرأ ٢٨٨، دار المعارف، القاهرة، ديسمبر ١٩٩٨ .

٤٤- الكامل في التاريخ، ابن الأثير على بن محمد السيباني أبو الحسن، ١٤ج، ١٣مج، دار صادر، بيروت، لبنان ١٩٨٢ .

٤٥- الكامل في اللغة والأدب، أبي العباس ابن المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان .

٤٦- كتاب الأذكياء ابن الجوزي، المكتبة الأموية، عمان، الأردن .

٤٧- كيد النساء (حكايات من ألف ليلة وليلة)، المركز العربي للنشر والتوزيع، الأسكندرية، بدون تاريخ .

٤٨- اللؤلؤ والمرجان، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٦.

٤٩- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت . لبنان ١٩٩٥ .

٥٠- مختار الأغاني، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بم منظور الأفريقي المصري (ت ٦٦٣٠ - ٧١١)، ط١، ١٢ج، ١٩٦٤ .

٥١- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧ .

٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، الحسين بن علي المسعودي (ت٣٤٦هـ)، ٤مج، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ .

٥٣- المستطرف في كل فن مستطرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهي المحلي، تحقيق عبد اللطيف سامر ودياب محمد خضر، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، بلا تاريخ .

٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان .

٥٥- مصارع العشاق للشيخ أبى محمد جعفر ابن أحمد الحسين السراج، القاهرة، مطبعة التقدم ١٩٠٧.

٥٦- معجم الشعراء، المرزباني أبي عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤) ط١ مكتبة القدس، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ .

٥٧- معجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط٤، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤ .

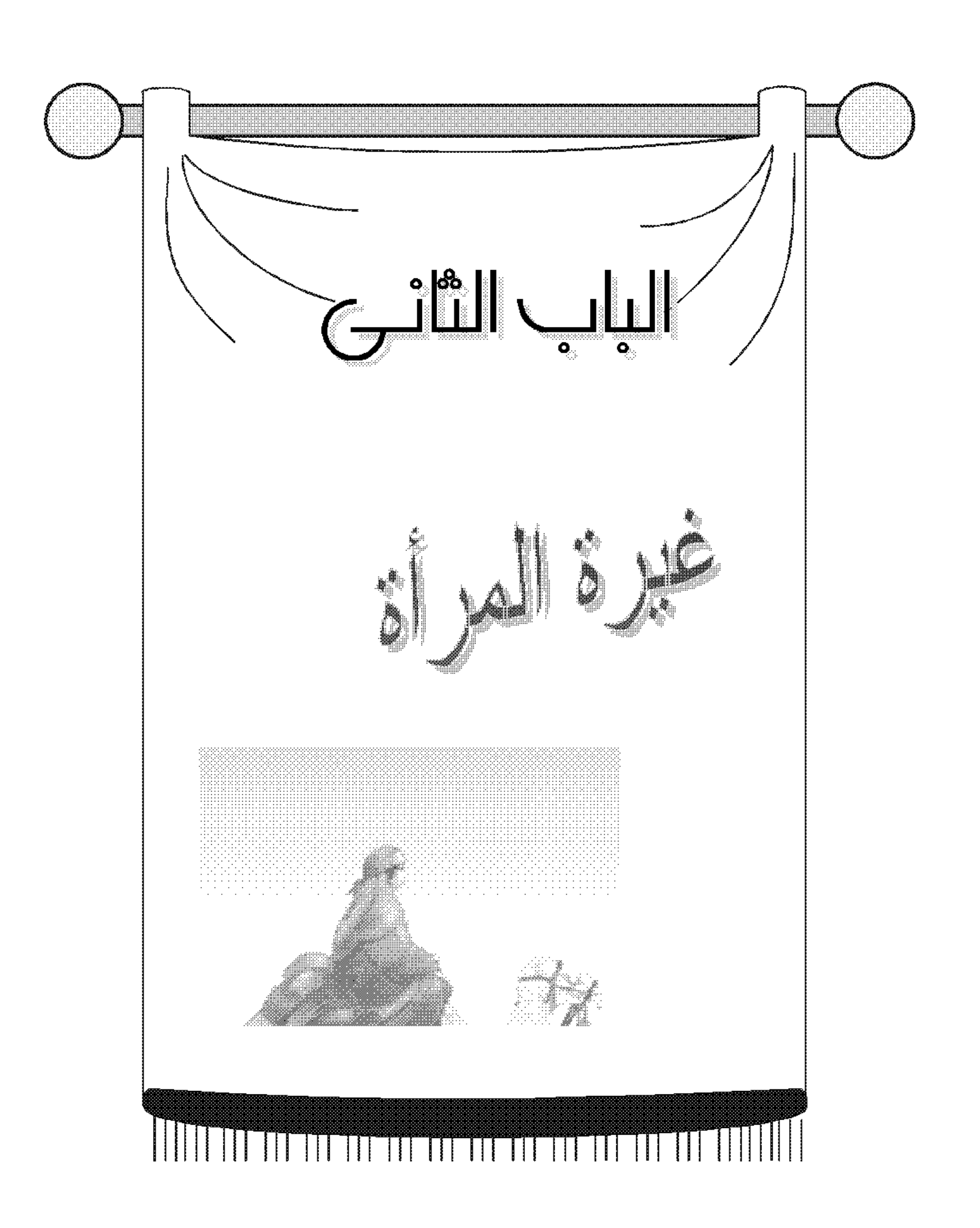
٥٨- مكارم الأخلاق، الإمام أبي بكر أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٩ .

٥٩- مواقف من حياة النساء، عماد حسن الشافعي، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٥ .

٦٠- موسوعة الزواج الإسلامي، الشيخ عبد الحميد كشك، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة .

٦١- نساء نزل فيهن قرآن، عبد العزيز الشناوي، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٢ .

٦٢- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.


الباب الثانى
غيرة المرأة

*يقول الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين":

"الاعتدال في الغيرة وهو أن لا يتغافل عن مبادئ الأمور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء. وفي رواية أن تبغت النساء. ولمَّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل دخول المدينة: "لا تطرقوا النساء ليلاً"، فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره. وفي الحديث: إنَّ من الغيرة غيرة الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة لأن ذلك من الظن الذي نهينا عنه، وأمَّا الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وذلك في الريبة، وكان قد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور المسجد سيما في العيدين. فالخروج للمسجد مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود أسلم. وينبغي أن لا تخرج إلا لمهم فإن للنظارات والأمور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي إلى الفساد، فإذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال. ولسنا نقول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه، بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط، فإن لم تكن فتنة فلا إذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه، والنساء يخرجن متنقبات، ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقيب أو منعن من الخروج إلا لضرورة"[1].

*قيل: ومما يُحدث الهوى في قلوب النساء لغير أزواجهن، ويدعوهن إلى الحرص على الرجال، والطلب لهن، أمور منها: أن يُظهر لها زوجها شدة الحذر عليها، والاحتفاظ بها، والغيرة في غير موضعها. أو يكون الرجل منهمكاً في الفساد، مظاهراً لها بالزنا. فإن ذلك مما يغريها من طلب الرجال، والحرص عليهم. كما قال الشاعر:

ما أحسن الغيرة في حينها وأقبح الغيرة في كل حين

---

[1]- إحياء علوم الدين للغزالي ج١ ص١١٠.

من لم يزل متهماً عِرسَهُ　　متبعاً فيها لرجم الظنون[1]
وشك أن يُغريها بالذي　　يخاف، أو ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمّها　　منك إلى عرض نقيّ ودين
لا تطّلع منك على ريبةٍ　　فيتبعُ المقرون حبل القرين[2]

*وقال بعضهم: لذةُ المرأة على قدر شهوتها، وغيرتها على قدر لذتها، واستدل بإفراط غيرتها على إفراط حرصها. وهذا القول خطأ قد علمنا أن الرجل أشد غيرة على المرأة من المرأة على الرجل. وربما كان الذي يبدو من المرأة عند تسرى[3] زوجها بالسراري وتزوجه المهيرات[4]، وحين تراه مع بعضهن توهيما للفعل أن ذلك من الطربة ولكراهية المشاركة فيه. وبعض ذلك يكون من طريق الألفة والنفاسة به، ولبس شكل ما تلقى المرأة إذا رأت على فراشها، من شكل ما يلقى الرجل إذا رأى على فراش امرأته رجلاً. لأن المرأة قد عاينت أن الرجل له أربع نسوة وألف جارية يطؤهن بملك اليمين، لما أحلَّه الله في الشريعة. وكذلك غيرة فحول الحيوان على إناثها، لأن فحل الحيوان يقاتل دونها كل فحل يعرض لها حتى تصير إلى الغالب، قال الراجز:

يغار والغيرة في خلق الذّكر　　والأمم تختلف في الغيرة[5]

*وكان بعض العلماء يقول: ليس المصيبة في معاتبة الرجل المرأة، إنما المصيبة في معاتبتها إياه. فإنها إنْ نظرت إليه ووقع بقلبها موقع حب لم يلبث أن تصير في يده، وتبعث الرسائل والأشعار والتحف[6].

---

[1]- عرسه: زوجة، ورجم الظنون:التكلّم بالظن .

[2]- ريبة: شك، والمقرون : المربوط .
أخبار النساء لابن الجوزي ص ٨٢ – ٨٣ .

[3]- التسري: التمتع بالجواري .

[4]- المهيرات: مفردها مهيرة، وهي الحرّة لأخذها المهر .

[5]- المرجع السابق ص ٧٦.

[6] -المرجع السابق ص ٨٤.

*قال الإمام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: ألم يبلغني عن نسائكم أنهن من يزاحمن العلوج في الأسواق، ألا تغارون؟ مَنْ لم يغر فلا خير فيه.

الغيرة غيرتان: **حسنةٌ جميلة يصلح بها الرجل أهله، وغيره تدخله النار**[1].

*قال سعيد بن سليمان: لأن يرى حرمتي[2] ألف رجل على حال يكشف منها، ولا تراهم، أحبّ إليَّ من أن ترى حرمتي رجلاً واحداً غير منكشف[3].

*قال إسحق: رأيت رجلاً بطريق مكة، تعادله في المحمل جارية قد شدَّ عينيها والغطا مكشوف، ووجهها باد، فقلت له في ذلك. فقال: إنما أخاف عليها من عينيها، لا من عيون الناس[4].

*وقال الإمام علي كرَّم الله وجهه: غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان[5].

*وعن ابن أبي مليكة: أن ابن عمر (بن الخطاب) سمع امرأته تكلم امرأة من وراء جدار، بينها وبينها قرابة لا يعلمها ابن عمر، قال: فجمع لها جرائد ثم أتى فضربها بها[6].

النغمة الحسنة

*وقال ابن الجوزي في "أخبار النساء":

قال: وكان هرون بن عبد الله البردعي يقول لأهله: محرم عليكِ أن نظرت إلى سائل يقف ببابك، وسمعت حلاوة نغمته. وكان ينهى الباعة إذا دخلوا سكنه عن

---

[1] –حياة الصحابة ج٢ ص٦٤٠.

[2] –الحرمة: الزوجة.

[3] –أخبار النساء لابن الجوزي ص ٨٤.

[4] –المرجع السابق.

[5] – شرح نهج البلاغة ج٤ ص ٢٨ .

[6] –أخبار النساء لابن الجوزي ص ٧٥.

النداء على بضائعهم. ورأيته مرة يضرب عطاراً سمعه يترنم بوصف العطر، وكان ينفق بضاعته حسن صوته، فيقول: العود المطري[1] والمحلب[2] واللبان[3] والمسك والعنبر[4] ويردد ذلك بصوته فيرجعه[5] فكان النساء يستمعن إليه ويشرفن من المطالع[6] ويتبعن الأبواب حتى تصل عيونهن إلى النظر إليه، وربما اشترين منه ما لا يحتجن إليه. قال: فقلت له: يا أبا وائل، فإنك قد أنعم الله عليك بشي كنت تمنعه! قال: جعلت فداك، إنما أمنع منعي لنفسي لئلا يسمعه من في منزلي. فإن النساء أسرع شئ ذهاب القلوب إلى النغمة الحسنة، فإنْ كان معه حسن وجه برئت المرأة من الله إن لم تحتل في صرف قلبه إليها، قلت: لا، ولا كل هذا! قال: فأسألك إلا سألته أن يستعمل هذا الكلام مرة أو مرتين أو ثلاثاً في غير هذه السكة[7].

فذهبنا به إلى غيرها وجعل العطار ينادي فما أتم الثالثة حتى تحركت أكتافي له طرباً وجعلت لا أمر ولا أجئ لما سكرت من حُسْن صوته. قال: كيف تراه ؟ قلت: أراه يستولي على قلوب الرجال. قال: فكم قلب الرجل على ترك التهتك من قلب المرأة؟ هذا إذا كانت بلغت من السن مبلغاً، فأمّا إذا كانت شابة ولها فضل الجمال، وهي ذات حاجة، وخالية الذرع[8] من الفكرة في المعاش، وخالية القلب، وقد أمنت ضرب الزوج وتطليقه، وغيرة الأخ، وقلة صيانة الأب، وأصابت من يشجعها على فعلها، ويفتح لها أبواب نظرتها، ويسعى لها في طلب الصديق، ويحرضها على التهتك، وقد قرب منها الصوت، وخلت من الرقيب، ولم يكن لها في الأرض إشراف، ولا أهل عفاف، فما يمرق السهم من الرمية كمروق[9] هذه إلى الباطل.

---

[1] – العود المطري: شجر له حبّ يجعل في الطيب.

[2] – المحلب: شجر له حب يجعل في الطيب.

[3] – اللبان: ضرب من الصمغ يقال له الكندر.

[4] – المسك: ضرب من الطيب، والعنبر: الزعفران.

[5] – رجع صوته: ردده مترنماً به.

[6] – المطالع: الفتحات والسلالم.

[7] – السكة: الطريقة.

[8]– خالية الذرع: مترفة منعمة.

[9]– المروق : التسرع.

امرأة غيراء في يدها شفراء

*ذكر الشعبي[1]: إن عبد الله بن رواحة[2] أصاب جارية[3] له، فسمعت به امرأته، فأخذت شفرة فأتته حين قام وقالت له: أفعلتها يا ابن رواحة؟ فقال: ما فعلت شيئاً. فقالت: لتقرأ قرآناً وإلا بعجتك بها. قال: ففكرت في قراءة القرآن وأنا جنب فهبت ذلك، وهي امرأة غيراء في يدها شفرة لا آمن أن تأتي بما قالت فقلت:

وفينا رسول يتلو كتابه إذا انشقّ معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى، بعد العمى، فقلوبنا به موقنات،، إن ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه، إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

قال: فألقت السكين من يدها، وقالت: آمنت بالل ، وكذبت البصر. قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك، فضحك وأعجبه ما صنعت[4].

إنْ عاد فعدْ

*روى سعيد بن منصور أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوماً يتغدى إذ جاءه رجل يعدو وفي يده سيف ملطخ بالدم، ووراءه قوم يعدون خلفه، فجاء حتى جلس مع عمر، فجاء الآخرون فقالوا: يا أمير المؤمنين إن هذا الرجل قتل صاحبنا.

فقال له عمر: ما يقولون؟

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، إني ضربت فخذي امرأتي فإن كان بينهما أحد فقد قتلته - يعنى أنه قاتل دفاعاً عن عرضه.

فقال عمر: ما يقول؟

---

[1]- الشعبي: هو عامر بن شراحبيل بن عبد ذي كبار الحميرى، أبو عمرو، راوية من التابعين، تُوفى سنة ١٠٣هـ.

[2]- عبد الله بن رواحة: كاتب أسرار النبي، ومن كبار الصحابة ومن الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام في بداية ظهوره.

[3]- أصاب جارية: أي ضاجعها .

[4]- أخبار النساء لابن الجوزي ص ٨٣.

قالوا: يا أمير المؤمنين إنه ضرب بالسيف فوقع في وسط الرجل وبين فخذي المرأة.

فأخذ عمر سيفه فهزّه، ثم دفعه إلى الرجل وقال:

إن عادوا فعد، وأهدر دم القتيل.

الذنب ذنبي

*زعم النسّابون أن الفريعة بنت همام أم الحجاج عشقت فتى من بنـــي ســـليم يقال له نصر بن حجاج، وكان أحسن أهل زمانه صورة، فضنيت من حبه ودنفتْ من الوجد به، ثم لهجت بذكره حتى صار ذكره هجيراها.

فمرَّ عمر بن الخطاب ذات ليلة بباب دارها فسمعها تقول رافعة عقيرتها:

من سبيل إلى خمر فاشربها   أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فقال عمر بن الخطاب: مَنْ هذه المتمنية؟ فعرف خبرها، فلمَّا أصبح استحضر الفتى المُتمَني، فلمّا رآه بهره، فقال له: أأنتَ تتمناك الغانيات في خدورهن[1]؟ لا أم لك، أما والله لأزيلنّ عنك رداء الجمال، ثم دعا بحجام فحلق جمته ثم تأمله، فقال له: أنتَ مخلوقاً أحسن؟ فقال: وأي ذنب لي في ذلك؟ فقال: صدقت الذنب لي إن تركتك في دار الهجرة، ثم أركبه جملاً وسيَّره إلى البصرة، وكتب إلى مجاشع بن مسعود السلمي أنى قد سيَّرت المتمني نصر بن حجاج السلمي إلى البصرة، فاستلب نساء المدينـــة لفظـــة عمر فضربن بها المثل وقلن: (أحبُّ من المتمنية) فسارت مثلاً[2].

لا تجامعني بأرض أنا بها

*عن عبد الله بن بريدة الأسلمي قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَعُسُّ ذات ليلة، فإذا هو بنسوة يتحدثن، فإذا هو يقلن: أي المدينة أصبح؟ فقالت امرأة منهن: أبو ذئب.

فلمّا أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سليم، فلما نظر إليه عمر إذا هو مـــن أجمل الناس، فقال له عمر: أنت والله ذئبهن، مرتين أو ثلاثاً، والذي نفـــسي بيـــده لا

---

[1]- الخِدر: الستر.

[2]- أعلام النساء ج١ ص١٦٩.

تجامعني بأرض أنابها.

قال : فإن كنت لا بد مسيرني، فسيرني حيث سيَّرت ابن عمي، يعني نصر بن حجاج السلمي، فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة[1].

يا هذا إنَّ لي زوجا غيورا فارتحل

*نزل عاصم بن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، خيمته بقُدَيْد[2] بفناء بيت من بيوت قديد، وهو يريد مكة معتمراً، فحطّ رحله، وكان رجلاً جسيماً من أعظم الناس بدناً، وأحسنهم وجهاً، فأرسلت إليه ربة البيت: يا هذا إنَّ لي زوجاً غيوراً يمر الإنسان بجانب بيتي فيضربني، وإن رآك في هذا المنزل لقيت منه شراً، فأنشدك الله إلا تحولت عنى. فأرسل إليها: إني قد نزلت وأنا مرتحل عن قليل وليس عليك من زوجك بي بأس، والتحويل يشق على. قال: فردت إليه الرسول حتى تحول عنها ومرت به عجوز خارجة من عندها فدعاها وسألها عن المرأة، فقالت:هي خردية بنت أكتم، وتزوجها ربيع بن أصرم، ولها بني صغير سمته باسم أبيها. ثم ذهبت العجوز. وقال عاصم بن عمر أبيات شعر. ثم دخل زوجها واستقر في منزله، فلمَّا فرغ من شعره سمعه وهو يضربها فصبر حتى علم أنه شفي غيظه ثم أنه أتاه، فصاح به، فخرج، فقال له: بأبي أنت، ما عرضك لي؟ فأخبره خبره وخبرها، فقال: بأبي أنت، لو كنت معي في منزلي ما كان على منك بأس[3].

خذي خمارك!

*لمَّا دخل الثوار المجرمون على عثمان بن عفان رضى الله عنه نشرت زوجته نائلة شعرها كأنما تستنصر بمروءة هؤلاء الثائرين وتستنجد بما عسى تكون فيهم من شرف وإباء، وحانت من أمير المؤمنين عثمان التفاته إليها، فصرخ فيها صرخة الإيمان وزجرها، وهو يقول: خذي خمارك! فإن دخولهم عليّ أهون من حرمة شعرك[4].

---

[1] - الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص ٢٨٥.

[2] - قديد: اسم موضع قرب مكة.

[3]- أخبار النساء لابن الجوزي ص ١٠١.

[4]- تحفة العروس ص ٣٩١ .

غيرة الأعراب

*نزل أعرابي من طي[1]، يقال له المثنى بن معروف، بأبي جبـر الفـزارى فسمعه يوماً يقول: لوددت أنى بت الليلة خالياً ببنت عبد الملك بن مروان. فقال المثنى: أحلالاً أم حراماً؟ فقال: ما أبالي. قال: فوثب إليه فضرب رأسه برحالة[2] فشجه، ثـم ارتحل وهو يقول:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة — على النأي أنى قد وترت أباً جبر[3]

نشرت على اليافوخ منه رحالة — لنصري أمير المؤمنين ولا يدرى[4]

وما كان شيء غير أنى سمعته — ينادي نساء المؤمنين بلا مهر

قال: فبلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فأهدر دم أبي جبر وبعث إلى المثنى بصلة جزيلة[5].

ثلاث خِلال

*قال المدائني[6]: كان عند روح بن زنباع[7]، هند بنت النعمان بن بشير[8]، وكان شديد الغيرة. فأشرفت يوماً تنظر إلى وفد جذام[9] (إذ) كانوا عنده، فزجرها، فقالت: والله

---

[1]- طي: قبيلة عربية سكنت شمال الجزيرة العربية .

[2]- الرحالة: السرج .

[3]- النأي: البعد، ووترت: ثأرت منه وقتلته .

[4]- اليافوخ: الرأس والجمجمة من بالتحديد .

[5]- المرجع السابق ص ٩٩.

[6]- المدائنى: هو على بن محمد بن عبد الله، أبو الحسن المدائنى، راوية مؤرخ، كثير التصانيف ، من أهل البصرة، ولد سنة ١٣٥هـ وتوفى ببغداد سنة ٢٢٥هـ .

[7]- هو روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامى، أبو زرعة أمير فلسطين وسيد اليمانية في الشام ، توفى سنة ٨٤هـ .

[8]- هي هند بنت النعمان بن بشير بن سعد بن تعلبة الخزرجى الأنصارى، أبو عبد الله أمير وشاعر وخطيب وصحابي شهد معركة صفين مع معاوية وقتل في معركة مرج راهط سنة ٦٥هـ .

[9]- جذام: اسم قبيلة عربية، وهى قبيلة روح بن زنباع.

والله إني لأبغض الحلال من جذام، فكيف تخافني على الحرام فيهم.

وقالت له يوماً: عجباً منك! كيف يسودك قومك؛ وفيك ثلاث خلال؛ أنت من جذام، وأنت جبان، وأنت غيور؟ فقال لها: أما جذام فإني في أرومتها[1]، وحسب الرجل أن يكون في أرومة قومه، وأما الجبن فإني ما لي إلا نفس واحدة، فأنا أحوطها، فلو كانت لي نفس أخرى جدتُ بها، وأما الغيرة فأمر لا أريد أن أشارك فيه، وحقيق[2] بالغيرة من كانت عنده حمقاء مثلك، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه في حجره!

فقالت:

وهلْ هندُ إلا مُهرةٌ عربيةٌ ... سليلةُ أفراس تحللها بغلُ
فإنْ أنجبت مُهرا عريقاً فبالحري ... وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحلُ[3]

نطق مَنْ احتاج إلى غيره

*قال العتبي[4]: كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية، وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث؛ فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن، فاجتمعن يوماً، فقالت لبابة: أما والله إنك لتسويني بهن وإنك تعرف فضلي عليهن! وقالت بنت سعيد: ما كنت أرى أن للفخر عليّ مجازاً، وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها! وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث: ما أحبُّ بأبي بدلاً، ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت! وكانت (فاطمة) بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن، فلم تتكلم، فتكلم عنها الوليد فقال: نطق منْ احتاج إلى نفسه، وسكت من اكتفي بغيره، أما والله لو شاءت لقالت: أنا

---

[1]- الأرومة: الأصل والشرف .

[2]- حقيق: جدير.

[3]- الحرا: الناحية. والحرا: موضع البيض، والحرا: الكناس وهو مأوى الظبي، والإقراف: الهجنة، والمقرف: النذل، ومعنى قولها: فإن تنجب حراً كريماً فبالحرا هو أنها إن ولدت حراً فهو خليق بها أو جدير بأن يكون كذلك. العقد الفريد لابن عبدربه ج٧ ص ١٠٨.

[4]- العتبى: هو محمد بن عبيد الله بن عمرو، أبو عبد الرحمن الأموي ، أديب وشاعر .. توفى في البصرة سنة ٢٢٨هـ .

ابنة قادتكم في الجاهلية، وخلفائكم في الإسلام! فظهر الحديث حتى تحدَّث به في مجلس ابن عباس، فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

غيرة الضرائر

*وحدَّث يحيى بن عبد العزيز عند محمد بن الحكم عن الإمام الشافعي رضى الله تعالى عنه قال: تزوَّج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة فكانت جارية الجديـدة تمر على بيت القديمة فتقول:

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة   وأخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود وتقول:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى   وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوماً وقالت:

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى   ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى   وحنينه أبداً لأول منزل[2]

*وكان لأعرابي امرأتان، فولدت إحداهما جارية، والأخرى غلاماً فرقـصته أمه يوماً وقالت – معايرة – ضُرتها:

الحمد لله العالي   أنقذني العام من الجوالي
من كل شوهاء كشن بال   لا تدفع الضيم عن العيال[3]

---

[1] – المرجع السابق.

[2] – المستطرف ج٢ ص٣٥٠ .

[3] – الشن: القربة البالية.

فسمعتها ضرتها، فأقبلت ترقص ابنتها وتقول:

وما عليَّ أن تكون جاريةٌ　　تغسل رأسي وتكون الغالية
وترفع الساقط من خماريةٌ　　حتى إذا بلغت ثمانية
أزرتها بنفيسة يمانيةٌ　　أنكحتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية

فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال، وقال: إنَّ أمها جديرة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها. فقال معاوية: لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر، ولكن لا تحرم الصلة، فبعث إليها بمائة ألف درهم.

العقرب الحارس

*وقال الفضيل بن الهاشمي: كنت مع ابنة عمي نائماً على سرير إذ ظهرت إليَّ بعض جواري، فنزلت، فقضيت حاجتي، ثم انصرفت. فبينما أنا راجع، إذ لدغتني عقرب فصبرت حتى عدت إلى موضعي من السرير، فغلبني الوجع، فصحت، فقالت لي ابنة عمي: ما لك؟ قلت لها: لدغتني عقربي. قالت: وعلى السرير عقرب؟ قلت: نزلت لأبول فأصابتني، ففطنت، فلمَّا أصبحت جمعت خدمها واستحلفتهن أن لا يقتلن عقرباً في دارها إلى سنة. ثم قالت:

إذا عصى الله في دارنا　　فإنّ عقاربنا تغضب
ودارٍ إذا نام حراسها　　أقام الحدود بها العقرب[1]

صدقت والله يا عمّاه!

*قيل : كانت عند أبي العباس[2] السفاح أم سلمة بنت يعقوب بن عبد الله المخزومي، وكان قد أحبها حباً شديداً، ووقعت في قلبه موقعاً عظيماً، فحلف لها أن لا

[1]– أخبار النساء لابن الجوزي ص ١٠٩.

[2]– أبو العباس السفاح: مؤسس الدولة العباسية.

يتخذ عليها سرية، ولا يتزوج عليها امرأة، فوفي لها بذلك، فخلا به خالد بن صفوان يوماً وقال له: يا أمير المؤمنين، فكرت في أمرك وسعة ملكك، وأنك قد ملكت نفسك امرأة واقتصرت عليها، فإذا مرِضَتْ مرِضْتَ، وإذا حاضت حضْتَ وحرمت نفسك التلذذ بالسراري واستطراف الجواري ومعرفة اختلاف حالاتهن، وأجناس التمتع منهن، فمنهن يا أمير المؤمنين الطويلة الغيداء[1] والعتيقة الأدماء[2] والزهية السمراء، والمولدات المغنيات اللواتي يفتن بحلاوتهن، ولو رأيت يا أمير المؤمنين السمراء واللعساء[3] من مولدات[4] البصرة والكوفة، وذوات الألسن العذبة، والقدود المهفهفة، والأوساط المختصرة، وحسن زيِّهن وشكلهن، رأيت فتناً ومنظراً حسناً وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الأحرار والنظر إلى ما عندهن من الحياء والتخفُّر والدلال والتعطر، ولم يزل خالد يجيد الوصف ويكثر في الأطناب بحلاوة لفظة وجودة كلامه، فلمّا فرغ قال له أبو العباس: ويحك، والله ما سلك مسامعي قط كلام أحسن مما سمعته منك، فأعده عليّ فأعاده عليه وزاد فيه.

ثم انصرف خالد وبقي أبو العباس متنكراً مغموماً، فدخلت عليه أم سلمة وكانت تبره كثيراً وتتحرى مسرته، وموافقته في جميع ما أراده، فقالت له: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك أمر ارتعت له، قال: لم يكن شئ من ذلك، قالت: فما قصتك ؟ فجعل يكتم عنها، فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد، قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟ قال: سبحان الله ينصحني وتشتمينه، فخرجت من عنده وأرسلت إلى خالد عبيداً وأمرتهم بضربه والتنكيل به، قال خالد: وانصرفت إلى منزلي مسروراً بما رأيت من إصغاء أمير المؤمنين إلى كلامي وإعجابه بما ألقيت إليه، وأنا لا أشك في الصلة[5]، فلم ألبث أن جاء العبيد، فلمَّا رأيتهم أقبلوا نحوي، أيقنت

---

[1]- الغيداء: الناعمة التمايل .

[2]- العتيقة الأدماء: الجميلة السمراء من النساء .

[3]- اللعساء: التي في شفتيها سمرة .

[4]- المولدات: اللاتي أمهاتهن غير عربيات .

[5]- الصلة: العطاء أو الهدية أو الجائزة.

بالجائزة، فوقفوا عليَّ وسألوا عنى، فعرفتهم نفسي، فأهوى إليَّ أحدهم بعمود كان في يده، فبادرت إلى الدار وأغلقت الباب.

ومكثت أياماً لا أخرج من منزلي، وطلبني أمير المؤمنين طلباً شديداً، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم هجموا على، فقالوا: أجبْ أمير المؤمنين، فأيقنت بالموت وقلت: لم أرَ دمَ شيخ أضيع من دمى، وركبت فلم أصل الدار حتى استقبلني عدة رسل، فدخلت على أمير المؤمنين فوجدته جالساً، فأومأ إليّ بالجلوس، فثاب إليَّ عقلي، وفي المجلس باب عليه ستور، وقد أرخيت وخلفه حركة، فقال لي: يا خالد مذ ثلاث لم أرك، قلت: كنت عليلاً يا أمير المؤمنين، قال: أنت وصفت في آخر دخلة عليَّ من أمر النساء والجواري ما لم يطرق سمعي قط كلام أحسن منه، فأعده عليَّ، قلت: نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب إنما اشتقت اسم الضرة من الضرر، وأن أحداً لم يك عنده امرأتان إلا كان في ضرر وتنغيص، قال: ويحك لم يكن هذا في حديثك، قلت: نعم يا أمير المؤمنين: إن الثلاث من النساء كأثافي القدر[1] تغلى عليها أبداً، وإنّ الأربع شر مجموع لصاحبه يمرضنه ويسقمنه ويضعفنه، قال : فقال أبو العباس: برئت من قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت منك من هذا شيئاً قط، قال خالد: بلى والله يا أمير المؤمنين، وعرفتك أن بني مخزوم ريحانة قريش وأن عندك ريحانة الرياحين وأنت تطمح بعينيك إلى الإماء والسراري، قال خالد: فقال لي أبو العباس: ويحك تكذبني، قلت: أفتقتلني يا أمير المؤمنين، قال: فسمعت ضحكاً من وراء الستر، وقائلاً يقول: صدقت والله يا عماه هذا الذي حدثته، ولكنه بدل وغير ونطق على لسانك بما لم تنطق به، قال خالد: فقمت عنهما وتركتهما يتراودان في أمرهما، فما شعرت إلا برسل أم سلمة معهم المال وتخوت ثياب، فقالوا لي: تقول لك أم سلمة: إذا حدَّثت أمير المؤمنين فحدِّثه بمثل حديثك هذا[2].

---

[1]- أثافي القدر: حجارته التي يرتكز عليها .

[2]- ثمرات الأوراق ص٤١١-٤١٢، والهفوات النادرة لمحمد بن هلال الصابيء.

أيتكن تجيز هذا البيت؟

*قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1]، كان امرؤ القيس بن حجر[2] مئناثاً لا يُولد له ذكر، وكان غيوراً شديد الغيرة، فإذا ولدت له بنت قتلها. فلما رأى نساؤه ذلك غيبن بناتهن في أحياء العرب. وبلغه ذلك فركب راحلته وخرج مرتاداً لهن حتى أناخ على حي من أحياء العرب، وإذا جوار مجتمعات، فقال: أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته: هات. فأنشأ يقول:

تبلت فؤادك إذ عرضت عشية بيضاء بهنكة عليها اللؤلؤ[3]

قال: فسكتت ساعة، ثم قالت:

لعقيلة الأدحي بات يحفها كنقا الظليم وزال عنها الجؤجؤ[4]

فضربها بالسيف فقتلها. وسار حتى نزل بحي آخر، فإذا بجوار يلعبن فقال: أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه، وقالت ابنته: هات. فقال:

إذا بركت تعالى مرفقاها على مثل الحصير من الرخام[5]

فسكتت ساعة، ثم قالت:

وقاموا بالعصي ليضربوها فهبت كالفنيق من النعام[6]

قال: فقتلها، ثم سار حتى نزل إلى حي آخر، فإذا بجوار يلعبن، فقال: أيتكن تجيز لي هذا البيت ولها راحلتي؟ فسكتن عنه. وقالت ابنته: هات. فقال:

---

[1]– هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أديب مشهور، من مؤلفاته "الشعر والشعراء" و "عيون الأخبار" . توفي سنة ٢٧٦هـ .

[2]– امرؤ القيس: أمير الشعراء الجاهلي وأحد أصحاب المعلقات السبع .

[3]– تبلت: أسقمت وذهبت بالعقل، والبهنكة: البيضاء الحسنة الخلق والسمينة .

[4]– الأدحي: مبيض النعام في الرمل، والنقا: كل عظم ذي منح ، والقطعة من الرمل المحدودبة، والظليم: ذكر النعام، والجؤجؤ: الصدر.

[5]– بركت: أناخت، والمرفقان: مثنى مرفق، وهو الموصل بين الساعد والعضد .

[6]– هبت: ثارت، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل .

وكأنهن نعاج رمل هائل بدف يمدن كما يميد الشارب[1]

فسكتت ساعة، ثم قالت:

بل هن أقرب في الخطا من خطوها إنَّ الخرائد مشيها متقاربُ[2]

قال: فنزل إليها فقتلها وسار[3].

غيرة الملوك

*وخطب الحجاج بن يوسف إلى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على ألفي ألف في السر، وخمسمائة ألف في العلانية، فأجابه إلى ذلك وحملها إلى العراق، فأقامت عنده ثمانية أشهر، فلمّا خرج عبد الله ابن جعفر إلى عبد الله بن مروان وافدا نزل بدمشق، فأتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس، فاستقبله ابن جعفر بالترحيب، فقال له الوليد: لكنك أنت لا مرحباً بك ولا أهلاً.

قال: مهلاً يا ابن أخي فلست أهلاً لهذه المقالة منك.

قال: بلى والله وبشر منها.

قال: وفيم ذلك؟

قال: لأنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب، وسيدة نساء بنى عبد مناف فعرضتها لعبد ثقيف يتفخذها.

قال: وفي هذا عتبت على يا ابن أخي؟

قال: نعم.

فقال عبد الله: والله ما أحق الناس أن لا يلومني في هذا إلا أنت وأبوك، لأن من كان قبلكم من الولاة يصلون رحمي، ويعرفون حقي، وإنك وإياك منعتماني رفد كما حتى ركَّبني الدين، أما والله لو أن عبداً حبشياً مجدعاً أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه، إنما فديت بها رقبتي، فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه، ومضى حتى دخل على عبد الملك، فقال: ما لك يا أبا العباس؟

---

[1]- الدف من الأرض أو الرمل: ما ارتفع من جوانبها .

[2]- الخرائد: مفردها خريدة، وهي الفتاة البِكر .

[3]- أخبار النساء لابن الجوزي ص ٩٨-٩٩.

قال: إنك سلطت عبد ثقيف وملكته حتى تفخذّ نساء بنى عبد مناف، فأدركت عبد الملك غيرة، فكتب إلى الحجاج يقسم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها، ففعل، قال: ولم يكن يقطع الحجاج عنها رزقاً ولا كرامة يجريها علينا حتى خرجت من الدنيا، وما زال واصلاً لعبد الله ابن جعفر حتى مات، وما كان يأتي عليه حولٌ[1] إلا وعند غير مقلة من عند الحجاج عليها أموال وكسوة وتحفة[2].

وما يدريك أنتِ؟

*ذكر ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد": أن عقيلاً بن علقة المـرّي كان رجلاً غيوراً، وكان يُصهر إليه الخلفاء، وإذا خرج يمتار خرج بابنته "الجرباء" معه، فنزلوا ديراً من ديره الشام، يُقال له دير سعد، فلما ارتحلوا قال عقيل:

قضيت وطراً من دير سعد وطالما ... على عُرُض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه يا عَملس أجزْ[3] فقال:

فأصبحن بالموْماة يحملْن فتية ... نشاوَى من الإدلاج ميلَ العمائم[4]

ثم قال لابنته : يا جرباء أجيزي. فقالت:

كأنَّ الكرى أسقاهُمُ صرخَدية ... عقاراً تمشى في المطا والقوائم[5]

قال: وما يدريك أنتِ ما نَعْت الخمر؟ فأخذ السيف وهوى نحوها، فاستعانت بأخيها عَملس، فحال بينه وبينها، قال: فأراد أن يضربه، قال: فرمه عَملس بسهم فاختل فخذية فبرك، ومضوا وتركوه، حتى إذا بلغوا أدنى ماء للأعراب، قالوا لهم: إنّا أسقطنا جزوراً[6] فأدركوها وخذوا معكم الماء. ففعلوا، فإذا عقيل بارك وهو يقول:

---

[1]- حولٌ: سنة أو عام.

[2]- المستطرف ج٢ ص٣٤٦.

[3]- أجِزْ: أي أن ينظم بيتاً أو شطر بيت ويقول لآخر أن يتمم شطره الثاني أو أن ينظم بيتاً آخر على وزنه وقافيته.

[4]- الموماة: الفلاة والمفازة ، والإدلاج: سير الليل مطلقاً .

[5]- صرخدية: خمر منسوبة إلى صرخد، والمطا: الظهر .

[6]- الجزور: ما يجزر من النوق أو الغنم .

إنَّ بنيَّ زملوني بالدم شِنشِنة أعرفُها من أخزمِ[1]
من يَلقَ أبطالَ الرجال يُكلمَ

والشِنشِنة: الطبيعة، وأخزم: فحل معروف، وهذا مثل للعرب.

ضحكةٌ آخرها شهيق!

*وحكى العتبى، قال: سمع عقيل بن علقمة المرّي بنتاً له ضحكت، فشهقت في آخر ضحكها، فأخذ السيف وحمل عليها وهو يقول:

فرقت ، إنيّ رجل فروق من ضحكة آخرها شهيق

قال: فنادت يا أخوتاه! فبادروا فحالوا بينه وبينها[2].

الغلام والتفاحة

*وعن علقمة: أن معاذ بن جبل[3] كان يأكل تفاحة ومعه امرأته فدخل عليه غلام، فناولته امرأته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها ضرباً[4].

ما أذنبت إلا ذنب صخر!

*وقال علي بن سليمان الأخفش[5]: قال ابن الكلبي[6]: كان لقمان[7] بن عاد حكيم العرب غيوراً، فبنى لامرأته صرحاً وجعلها فيه، فنظر إليها رجل من الحي فعلقها،

---

[1]- زملوني: لفوني .

[2]-أخبار النساء لابن الجوزي ص ٨١.

[3]- صحابي جليل من الأنصار، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، وشارك في غزوات كثيرة.

[4]- المرجع السابق ص ٧٦.

[5]- على بن سليمان الأخفش، من العلماء النحاة، توفى ببغداد سنة ٣١٥هـ .

[6]- ابن الكلبي: هو هشام بن محمد أبى النضر ابن السائب ابن بشد الكلبي ، أبو المنذر ، مؤرخ عالم بالأنساب وأخبار العرب ، توفى بالكوفة سنة ٢٠٤هـ .

[7]- هو لقمان بن عاد من حكماء العرب في الجاهلية، وهو غير لقمان الحكيم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم .

فأتى قومه فأخبرهم وجده بها، وسألهم الحيلة في أمره، فأمهلوه حتى أراد لقمان الغزو، فعمدوا إلى صاحبهم وشدّوه في حزمة سيوف وأتوا إلى لقمان فاستودعوها إياه، فوضع السلاح في بيته، فلمَّا مضى تحرَّك الرجل في السيوف، فقامت إليه المرأة تنظر فإذا هي برجل، فشكي إليها حبه إياها، فلم يزل معها مقيماً حتى قدم لقمان، فردَّته في السيوف كما كان، وجاء قومه فاحتملوه. وإنَّ لقمان نظر يوماً إلى نخامة[1] في السقف فقال: من تنخم هذه؟

فقالت: أنا. قال: فتنخمي. فقصرت، فقال: يا ويلتاه والسيوف دهتني. فقتلها ثم نزل، فلقي ابنته صحر صاعدة فأخذ حجراً فهشم رأسها فماتت. وقال: أنتِ أيضاً امرأة. فضربت العرب بذلك المثل، فكان يقول المظلوم منهم: ما أذنبت إلا ذنب صحر[2].

وخدُ النجائب

*وكانت لابن الدمينة[3] امرأة يُقال لها حماء، وكان مزاحم بن عمر السلولي[4] يأتيها ويتحدث إليها، فمنعها ابن الدمينة من ذلك فاشتد ذلك عليه، فقال مزاحم عند ذلك يذكرها:

يا ابن الدمينة والأخبار تحملها ... وخد النجائب تبديها وتنميها[5]

فلما بلغ ابن الدمينة ذلك عرف العلامة التي في زوجته، وعلم أنه لم يرد ذلك منها إلا وقد أفضى إليها. فأتى امرأته فقال: قد بلغني غشيان مزاحم لكِ، وقد قال فيك ما قال. فأنكرت ذلك، وقالت: والله ما رأى ذلك الموضع قط. قال: فما أعلمه بعلامتك التي وصفها؟ قالت: النساء رأين ذلك إذ كنت جارتهن، فتحدثن بذلك، فسمعه مزاحم. وتغافل ابن الدمينة عن مزاحم حتى ظنَّ أنه قد ذهب من قلبه، ثم قال لامرأته: لئن لم

---

[1] - النخامة: ما يدفعه الإنسان من فمه أو أنفه .

[2] - المرجع السابق ص ١٠٢-١٠٣.

[3] - ابن الدمينة: هو عبد الله بن عبد الله بن أحمد، شاعر بدوي من خثعم، والدمينة أمه .

[4] - مزاحم بن عمر السلولي: من شعراء العصر الأموي.

[5] - وخد النجائب: سير النوق .

ترسلي إليه الليلة يأتيك في موضع كذا لأقتلنك. فأرسلت إليه: إنك قد سمعت بـــي ولا أحبّ أن تأتيني وأنا سآتيك في موضع كذا، فقعد في الموضع ابن الدمينة وأصـــحابه، وجاء مزاحم وهو يظن أنها في الموضع الذي وعدته به، فخرجوا إليه وأوثقوه وصرّوا صرّة من رمل في ثوب وضربوا بها كبده حتى مات، واحتملوه حتى أتوا به ناحيـــة دور قومه فطرحوه بها. وجاء أهله فأخذوه ولم يجدوا به أثر سلاح، فعلموا أن ابـــن الدمينة قتله. ورجع ابن الدمينة إلى امرأته فقتلها وقتل ابنة له منها، وطلبه السلوليون[1] فلم يجدوه[2].

---

[1]- السلوليون: هم قوم مزاحم بن عامر السلولي .

[2]- المرجع السابق ص ١٠٥.

إذا أبيت إلا ما تريد فالموعد الليلة

*وروى ابن الجوزي في "أخبار النساء" قال:

حكى دعبل بن علي[1] قال: عبث عطار اسمه فيروز بامرأة من الشام تسومه عطراً فعلقت بقلبه، فقعد لها على طريقها، فلمَّا أضجرها قالت: والله لو أن عبد الله بن سيرة بقربي ما طمعت في هذا مني. فبلغت عبد الله بن سيرة هذه الكلمة وهو في البعث بأرمينية[2]، فترك مركزه وأقبل لا يلوي على أحد، حتى وقف ببابها ليلاً، وكان يوصف بشدة الغيرة، فاستأذن عليها، فأذنت له، فقال لها: أيتها المرأة من هذا الذي عبث بك حتى تمنيت أنى بقربك؟ قالت: رجل عطار. قال لها: فما ابتنى؟ قالت: لا . قال لها: فعديه الليلة القابلة وإني أسبقه إلى بيتك، فبعثت إليه تقول له: إذا أبيت إلا ما تريد، فهلم إلى بيتي الليلة عندي. فأقبل إليها وقد سبقه ابن سيرة، فلمَّا دخل وثب عليه وضربه ضربة رمى برأسه، ثم قتل خادمها، وقال لها: إنما قتلته لئلا يطلع على الخبر أحد من الناس. ثم ناولها مائة دينار، وقال لها: اشتري بها خادماً وأنفقي باقيها على نفسك. ثم قال: هلمي فأساً فقلع رأس البالوعة[3]، وقال للمرأة: أظهري أن الخادم قد أبق[4]. ثم خرج، ولم يعلم به أحد، ولم يأت منزله حتى قدم أرمينية وقال في ذلك:

إن المنايا لغيران لمُعرضة ... يغتاله النحرُ أو يغتاله الأسدُ

أو عقرب أو شجي في الحلق معترض ... أو حية في أعالي منتهى الزّبد[5]

---

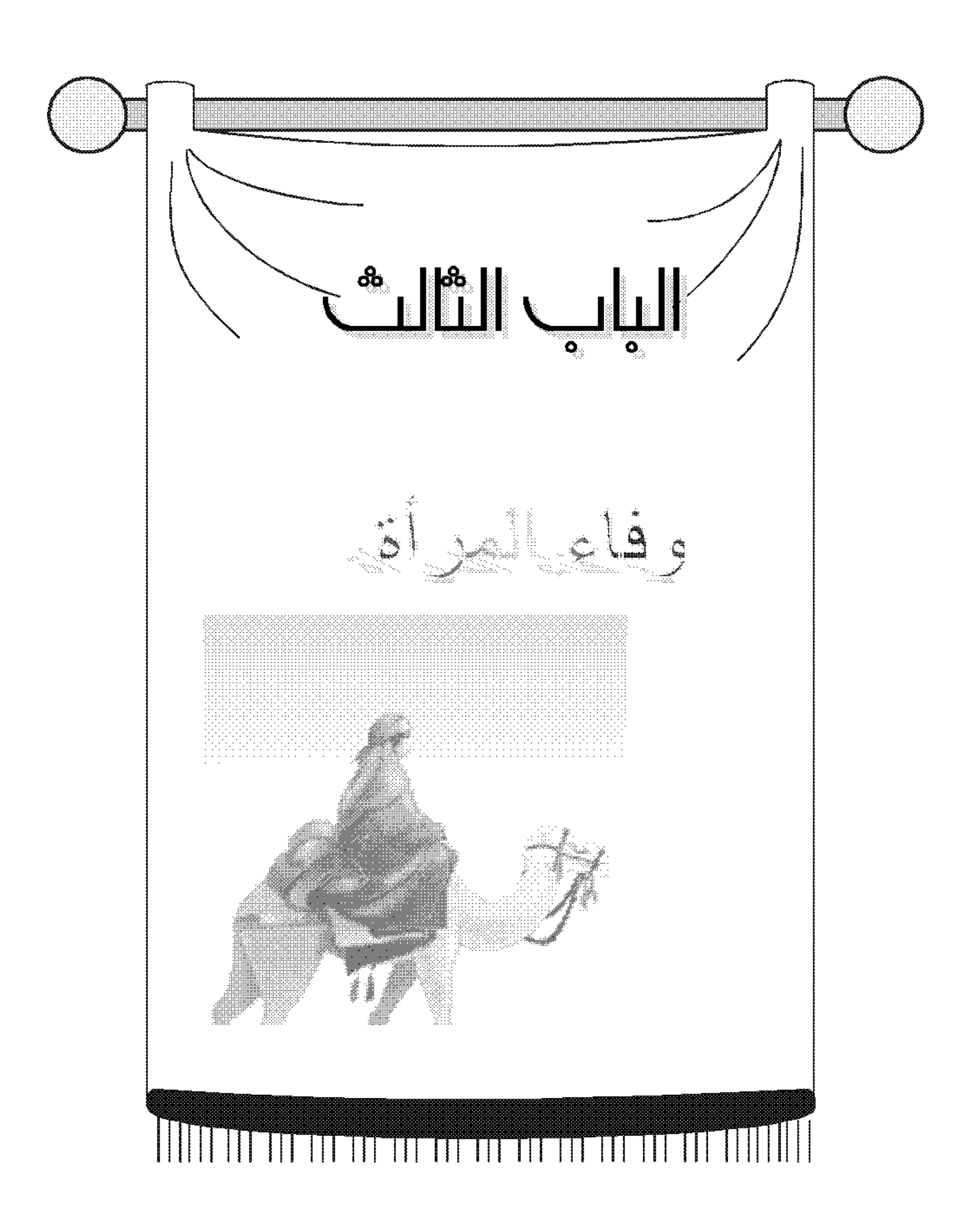
[1]- دعبل بن علي: هو دعبل بن علي الخزاعي شاعر عرف بولائه لآل البيت .

[2]- أرمينية: بلاد في أسيا الصغرى جنوب القوقاز.

[3]- البالوعة: مصرف للمياه القذرة .

[4]- أبق: هرب .

[5]- الشجي: ما اعترض في الحلق من عود أو عظم بسبب الأذى ، والزبد: يراد به منتهى الشدة.


الباب الثالث
وفاء المرأة



وفاء بنات النبي

*عن عائشة أن أبا العاص بن الربيع كان فيمن شهد بدراً مع المشركين فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري. فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم قدِمَ في فداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع وبعثت معه زينب بنت رسول الله، وهي يومئذ بمكة، بقلادة لها كان لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار، وظفار جبل باليمن، وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص بن الربيع حين بنى بها، فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص. فلمَّا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، القلادة عرفها ورقّ لها وذكر خديجة وترحم عليها وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم. قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على زينب قلادتها وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص أن يخلي سبيلها إليه فوعده ذلك ففعل[1].

المُجَادِلة

*وكانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت، وهما من المسلمين الأوائل وممَنْ شهد بدراً. وقد ساء خلق الشيخ الطاعن في السن ولم تعد خولة تحتمل قوله أو تصبر على إساءته فكم أساء إليها بالقول وصبرت وكم تعدى عليها بالضرب وصبرت. ومضت الأيام على نفس الوتيرة وخولة صابرة تستأذن زوجها حين تريد أن تخرج إلي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكي تصلى مع جماعة المسلمين فقد وجدت في ذلك الصبر والسلوان على قسوة زوجها وضنك عيشتها وشعرت بحلاوة الإيمان عندما سمعت نبي الرحمة يقرأ قوله تعالي: "واستعينوا بالصبر والصلاة[2]" وكان ذلك يقوّى عزمها على التصدي لمرارة الحياة واحتمال فظاظة زوجها.

وكانت خولة تعيش مع زوجها في غرفة صغيرة، وفي يوم طلب منها ماء ليتوضأ فأقبلت تحمل إناء فعثرت قدمها فوقع الإناء منها فأخذ أوس يرغي ويزيد ويسب زوجته ثم طلب منها طعاماً فذهبت وأحضرت قليلاً من الزيت وبعض الكسر

---

[1]- الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٣٣.

[2]- سورة البقرة، الآية (٤٥).

اليابسة من الخبز فنظر الشيخ إلي الطعام وقال: ما هذا؟ فقالت خولة: يا أوس يجب أن تحمد الله على نعمة فغيرنا لا يجد ما نجد من فضل الله علينا، فانفجر الرجل غاضباً وقال: ويل لك يا امرأة أكلت الطعام وحدك وتقولي لي: احمد الله؟ أنت على كظهر أمي.

وجلست خولة بنت ثعلبة حائرة تلمم شعت نفسها والدموع تنحدر على خديها وتحادث نفسها قائلة: أهكذا يا أوس تطلقني طلاق الجاهلية. وعزمت على الذهاب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستفتيه في أمرها. وقبل أن تهم بالخروج عاد زوجها أوس وفي يده بعض التمرات فقال لها: خذي فاطعمي ياخولة. فقالت له: أنا بحمد الله لا أشعر بجوع. فدفع بها إلي فمه وقال: إذن أكلهم أنا. ثم إذا به يقترب منها ويجذبها نحو فراشه يريد منها ما يريد الرجل من المرأة فانتفضت وابتعدت ولكنه مضي وراءها يريد أن ينزع عنها ثوباً فقالت له: إني محرمة عليك لقد ظاهرتني وقلت أنتِ عليَّ كظهر أمي. والله لا تخلص إليَّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا.

ومضت خولة بنت ثعلبة نحو بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه وقالت: يا نبي الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإنَّ زوجي ظاهر منى.. ثم أخبرته بما قال لها زوجها وما حدث منه وأخذت تسرد عليه ما تلقى من سوء خلق الزوج وهى باكية حزينة تسأله مخرجاً لها من هذه الورطة، فهي زوجة مخلصة وفيه لزوجها وأولادها الصغار ولا تستطيع لهم فراقاً ولا ينفق عليهم غيرها.

ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجيبها لأنه لم ينزل عليه في الظهار آيات بعد، فأخذت تلح عليه وهو يعتذر، واستمرت تبكى وتقول: يا رسول الله ظاهر حين كبرت سني ورقّ عظمى. اللهم أنزل على لسان نبيك لنا فيه الفرج. وتقول السيدة عائشة: فلقد بكيت وبكي من كان معنا من أهل البيت رحمة لها ورقة عليها. ثم نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر خولة فقال لها: يا خولة أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا. فقالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات.. ماذا قال السميع العليم يا نبي الله؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلي الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير * الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما

هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القـــول وزورا وإن الله لعفو غفور* والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مـــن قبل أن يتماساً ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير* فمنْ لم يجد فصيام شـــهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلـــك لتؤمنـــوا بـــالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم"[1].

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نزل حكم الله:

"**ياخولة مريه أن يعتق رقبة**".

فقالت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق.

ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام رحمة الله للعاملين حين سمع ذلـــك قـــال لخولة:

"**ما أمر الله به فليصم شهرين متتابعين**".

فقالت: يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به وسع على صيام.

فقال صلى الله عليه وسلم: "فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر".

فقالت: يا رسول الله ما ذاك عنده.

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

(فإنا سنعينه بعزق من تمر).

فقالت خولة: "يا رسول الله وأنا سأعينه بعزق آخر".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"**قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به ثم استوصي بابن عمك خيراً**".

فما أعظم وفاء خولة بنت ثعلبة لزوجها وأولادها.

يا حرباه!

*عن محمد بن عبد الله بن جحش قال: قمن النساء حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحُد يسألن الناس عن أهليهن فلم يخبرن حتى أتين رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلا تسأله امرأة إلا أخبرها، فجاءته حمنة بنت جحش فقال: يا حمنـــة، احتسبي أخاك عبد الله بن جحش. قالت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له.

[1]- أوائل سورة المجادلة.

ثم قال: يا حمنة احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب، قالت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، رحمه الله وغفر له. ثم قال: يا حمنة احتسبي زوجك مصعب بن عمير، فقالت: يا حرباه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن للرجل لشعبة من المرأة ما هي له شئ"[1].

أرملني قبل ليلة العُرس

*قال الهلالي: تزوَّج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ربطة، وكانت من أجمل النساء، فقتل محمد عنها ولم يبنْ بها[2]، فقالت:

أبكيك لا للنعيم والأنس ... بل للمعالي والرمح والفرس

يا فارساً بالعراء مطرحاً ... خانته قُواده مع الحرس

أبكي على سيد فُجعت به ... أرملنى قبل ليلة العرس

أم مَنْ لبر أم مَن لعائدة ... أم مَنْ لذكر الإله في الغَلس[3]

مَن للحروب التي تكون لها ... إن أضرمت نارها بلا قبس

لا يبقى على الدهر النعيم

*قال الشيباني: كانت امرأة من هذيل، وكان لها عشرة اخوة وعشرة أعمام، فهلكوا جميعاً في الطاعون، وكانت بكراً لم تتزوج، فخطبها ابن عم لها فتزوجها. فلم تلبث أن اشتملت على غلام فولدته، فنبت نباتاً كأنما يمد بناصيته وبلغ، فزوجته وأخذت في جهازه، حتى إذا لم يبق إلا البناء أتاه أجله، فلم تشق لها جيباً، ولم تدمع لها عين، فلما فرغوا من جهازه دعيت لتوديعه، فأكبت عليه ساعة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه، وقالت:

ألا تلك المسرّةُ لا تدومُ ... ولا يبقى على الدهر النعيمُ

ولا يبقى على الحدثان غفر ... بشاهقة له أم رؤومُ[4]

ثم أكبت عليه أخرى، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها، فدفنا جميعاً.

---

[1]- الطبقات الكبرى لابن بعد ج٨ ص ٢٤١.

[2]- لم يبنْ بها: لم يدخل عليها ولم يواقعها.

[3]- الغَلس: ظلمة أخر الليل.

[4]- الحدثان: الليل والنهار.

المرأة لآخر زوجيْها

*عن عطية بن قيس قال: خطب معاوية أم الدرداء، فقالت: قال أبو الدرداء: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المرأة لآخر زوجيْها" فلست بمتزوجة بعد أبــي الدرداء حتى أتزوجه في الجنة إن شاء الله تعالي".

ويُقال: إنما حَرُم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على مــن بعــده لأنهــن أزواجه في الجنة[1].

إنـي رأيت الحزن يبلى

*روى ابن عبد ربه في كتابه "العقد الفريد" قال:

قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان: هل لك في ابنــة عم لي بكر جميلة، ممتلئة الخلق، أسيلة الخد، أصيلة الرأي، تتزوجها؟ قــال: نعــم. فذكرت له نائلة بنت الفرافصة الكلبية، فتزوجها وهى نصرانية، فتحنفت[2] وحملت إليه من بلاد كلب، فلمَّا دخلت عليه، قال لها: لعلك تكرهين ما ترين من شيبي؟ قالت: والله يا أمير المؤمنين، إني من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل! قال: إنــي قــد جــزت الكهول، وأنا شيخ! قالت: أذهبت شبابك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خير ما ذهبت فيه الأعمار! قال: أتقومين إلينا أم نقوم إليك؟ قالت: مــا قطعــت إليــك أرض السماوة وأريد أن انثنى إلي عرض البيت: وقامت إليه، فقال لهــا: انزعــي ثيابــك، فنزعتها، فقال: حلي مرطك[3]. قالت: أنت وذاك.

قال أبو الحسن: فلم تزل نائلة عند عثمان حتى قتل، فلما دُخل إليــه وقَتْــه بيدها، فجذمت[4] أناملها، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها، فأرسلت إليه: ما ترجو من امرأة جذماء.

وقيل: إنها قالت لما قُتل عثمان: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وقد

---

[1]- عيون الأخبار ج٤ ص١١.

[2]- تحنفت: صارت حنيفية أي دخلت الإسلام.

[3]- المرط: كل ثوب غير مخيط.

[4]- جذمت أناملها: قطعت.

خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبي! فدعت بفهر [1] فهتمت [2] فاها، وقالت: والله لا قعد أحد منى مقعد عثمان أبداً.

قال أبو الحسن: كتبت نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان إلي معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير، وبعثت إليه بقميص عثمان مخضوباً بالدماء، وكان في كتابها:

"من نائلة بنت الفرافصة إلي معاوية بن أبى سفيان، أما بعد، فإني أدعوكم إلي الله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنه، وأنشدكم الله، وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزم الله عليكم، فإنه قال: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلي أمر الله [3]"، وإنَّ أمير المؤمنين بغي عليه، ولو لم يكن لعثمان عليكم إلا حق الولادة، (ثم أتي إليه ما أتي) لحق على كل مسلم يرجو إمامته أن ينصره فكيف وقد علمتم قدمه في الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب (داعي) الله وصدّق كتابه وأتبع رسوله، والله علَّم به إذ انتخبه فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة. وإني أقص عليكم خبره، إني شاهدة أمره كله. إن أهل المدينة حصروه في داره، ويحرسونه ليلهم ونهارهم قياماً على أبوابه بالسلاح، يمنعونه كل شئ قدروا عليه، حتى منعوه الماء، فمكث هو من معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلي علي، ومحمد بن أبى بكر، وعمَّار بن ياسر، وطلحة والزبير، فأمروهم بقتله، وكان معهم من القبائل: خزاعة، وسعد بن بكر، وهذيل، وطوائف من جهينة ومزينة وأنباط يثرب، فهؤلاء كانوا أشد الناس عليه. ثم إنه حُصر فرُشق بالنبل والحجارة، فجرح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه، فأتاه الناس يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال، فنادهم وأمرهم أن يردوا إليهم نبلهم، فردوها عليهم، فما زادهم ذلك في القتل إلا جرأة، وفي الأمر إلا إغراقاً، فحرَّقوا باب الدار، ثم جاء (ثلاثة) نفر من أصحابه فقالوا: إن (في المسجد) ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل، فاخرج إلي المسجد يأتوك. فانطلق فجلس فيه ساعة وأسلحة القوم مظلة

---

[1] - الفهر: حجر رقيق.

[2] - هتمت فاها: ألقت مقدم أسنانها.

[3] - سورة الحجرات، الآية (٩).

عليه من كل ناحية، فقال: ما أرى اليوم أحداً يعدل! فدخل الدار، وكان معه نفر ليس على عامتهم سلاح فلبس درعه وقال لأصحابه: لولا أنتم ما لبست اليوم درعي. فوثب عليه القوم فكلمهم ابن الزبير، وأخذ عليهم ميثاقاً في صحيفة وبعث بها إلي عثمان: عليكم عهد الله وميثاقه أن لا تقربوه بسوء حتى تكلموه وتخرجوا. فوضع السلاح، ولم يكن إلا وضعه ودخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبى بكر، فأخذوا بلحيته ودعوه باللقب، فقال: عبد الله وخليفته عثمان. فضربوه على رأسه ثلاث، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم، فسقطت عليه وقد أثخنوه (بالغوا في طعنه) وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به، فأتتني بنت شيبة بن ربيعة فألقت نفسها معي عليه، فوطأنا القتلة بأرجلهم وطئاً شديداً، وعريناً من ثيابنا، وحرمة أمير المؤمنين أعظم فقتلوه رحمة الله عليه، في بيته وعلى فراشه، وقد أرسلت إليكم بثوبه عليه دمه، وإنه والله لئن كان أثم من قتله، لمَّا سلَّم من خذله، فانظروا أين أنتم من الله عز وجل، فإنَّا نشك ما مسنا إليه، نستنصر وليه وصالح عباده، ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا مصارع الخزي والمذلة وشفي منهم الصدور".

القصر المهجور

*روى إبراهيم بن حسن بن يزيد، عن شيخ من ساكني العقيق[1] قال: إني واقف بالعقيق، وقد جاء الحاج، إذ طلعت امرأة على راحلة وحولها نسوة، فنظرنا إليها فأعجبتنا حالها. فلمَّا كانت حذاء قصر سفيان بن عصام بن عبد العزيز بن، عدلت إلينا، ونحن ننظر فنزلت قصراً من تلك القصور فأقامت فيه ساعة ثم خرجت، فركبت ومضت، وإن عينيها لتنقطان دموعاً. فقلت: لأنظر ما صنعت هذه المرأة؟ فدخلت القصر، فإذا كتاب يواجهني في الجدار، فقرأته فإذا هو:

أليس كفي حزناً لذي الشوق أن يرى	منازل من يهوى معطلة قفرا؟
بلى، إن ذا الشوق الموكل بالهوى	يزيد اشتياقاً كلماً حاول الصبرا

وتحته مكتوب: وكتبته آمنة بنت عمر بن عبد العزيز، وكان سفيان ابن عاصم زوجها توفي عنها[2].

---

[1]- العقيق: اسم واد بمكة المكرمة.

[2]- أخبار النساء لابن الجوزي ص ٣٣.

*قال الأصمعي: قال لي الرشيد: امض إلي بادية البصرة فخذ مــن تحــف كلامهم وطرف حديثهم. فانحدرت، فنزلت على صديق لي بالبصرة، ثم بكرت أنا وهو إلي المقابر، فلما صرت إليها إذا بجارية نادى إلينا ريح عطرها قبل الدنو منها، عليها ثياب مصبغات وحلي، وهي تبكي أحرّ بكاء. فقلت: يا جارية ما شأنك؟ فأنشأت تقول:

فإن تسألاني فيم حزني؟ فإنني رهينة هذا القبر يا فتيان[1]

أهابك إجلالاً، وإن كنت في الثرى مخافة يوم إن يَسُؤك مكاني

وإني لأستحييك، والتربُ بيننا كما كنتُ استحييك حين تراني

فقلنا لها: ما رأينا أكثر من التفاوت[2] بين زيك وحزنك فأخبري بشأنك؟ فأنشأت تقول:

يا صاحب القبر، يا من كان يؤنسني حياً، ويكثر في الدنيا مواساتي

أزور قبرك في حلي وفي حلل كأنني لست من أهل المصيبات

فمن رآني، رأى غيري مفجعة مشهورة الزي تبكي بين أموات

فقلنا لها: وما الرجل منك؟ قالت: بعلي، وكان يحب أن يراني في مثل هذا الزي، فآليت على نفسي أن لا أغشى[3] قبره إلا في مثل هذا الزي لأنه كــان يحبــه أيــام حياتــه، وأنكرتماه أنتما علي.

قال الأصمعي: فسألتها عن خبرها ومنزلها. وأتيت الرشيد فحدَّثته بما سمعت ورأيت، حتى حدَّثته حديث الجارية. فقال: لابد أن ترجع حتى تخطبها إلي من وليها، وتحملها إليّ، ولا يكون من ذلك بُدّ. ووجَّه معي خادماً ومالاً كثيــراً. فرجعــت إلــي قومهــا فأخبرتهم الخبر، فأجابوا وزوَّجوها من أمير المؤمنين وحملوها معنا وهي لا تعلم. فلما صرنا إلي المدائن[4] نما إليها الخبر، فشهقت شهقة فماتت، فدفناها هنالك، وسرت إلي الرشيد فأخبرته الخبر، فما ذكرها وقتاً من الأوقات إلا بكى أسفاً عليها[5].

---

[1]- الرهينة: الحبيسة.

[2]- التفاوت: الفرق.

[3]- أغشى: أزوره.

[4]- المدائن: مدينة تقع على بعد ٣٠ كيلو متر جنوبي بغداد بالعراق على شط دجلة، فتحهــا ســعيد بن أبي وقاص سنة ٦٤٧هـ.

[5]- المرجع السابق ص ١١٢-١١٣.

وإني لأستحيه والتراب بيننا

*وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبابين[1] الشام فإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، قال سليمان: فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمساً عن متون غمامة، فوقفنا متحيرين ننظر إليها، فقال لها يزيد بن المهلب: يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟

فنظرت إلينا ثم أنشأت تقول:

فإن تسألاني عن هواي فإنه   يحول بهذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والتراب بيننا   كما كنت أستحييه وهو يراني

فانصرفنا ونحن متعجبون[2].

الخرساء

*وقال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابية لا تتكلم، فقلت: أخرساء هي؟ فقيل لي: لا، ولكنها كان زوجها معجباً بنغمتها فتوفي، فآلت أن لا تتكلم بعده أبداً[3].

اقبض عنانك.. لن أخون العهد

*عن رجل من بني أسد قال: أضلّلتُ إبلا لي، فخرجت في طلبهن، فهبطت وادياً، وإذا أنا بفتاة أغشى نور وجهها نور بصري، فقالت لي: يا فتى ما لي أرك مُدَلّها[4]؟ فقلت: أضلك إبلا لي فأنا في طلبها، قالت: أفأدلك على من هي عنده وإن شاء أعطاكها؟ قلت: نعم ولك أفضلهن، قالت: الذي أعطاكهن أخذهن وإن شاء ردهن، فسله من طريق اليقين لا من الإختبار، فأعجبني ما رأيت من جمالها وحُسْن كلامها، فقلت: ألك بعل؟ قالت: قد كان، ودُعي فأجاب فأعيد إلي ما خلق منه. قلت: فما قولك في بعل تُؤْمنُ بوائقه[5]، ولا تذمّ خلائقه؟ فرفعتْ رأسها وتنفست وقالت:

---

[1]- جبابين: مقابر.

[2]- المستطرف ج١ ص٣٢٢.

[3]- أخبار النساء لابن الجوزي ص ١٢١.

[4]- مدلها: ساهر القلب ذاهب العقل.

[5]- بوائقه: شروره وغوائله، جمع بائقة.

كنا كغصنين في أصل غذاؤها ماء الجداول في روضات جنات[1]

فاجتث خيرهما من جنب صاحبه دهر يكر بترحات وفرحات[2]

وكان عاهدني إن خانني زمن ألا يضاجع أنثى بعد مثواتي

وكنت عاهدته إن خانه زمن ألا أبوء ببعل طول محياتي

فلم هكذا والوصل شيمتنا حتى توفي قريباً مذ سنيات

فاقبض عنانك عمن ليس يردعه عن الوفاء خلاف بالتحيّات [3]

زوج حمائم

*قال عامر بن حذافة: رأيت بصحار[4]جارية قد ألصقت خدها بقبر وهى تبكى وتقول:

خدّي يقيك خشونة اللحد وأقلُّ ما لك سيدي خدّي

يا ساكن الترب الذي بوفاته عميت على مسالكُ الرشد

اسمع فديتك قصتي فلعلّني أشفي بذلك غلّة الوجد

قال: فسألتها عن صاحب القبر، فقالت: فتى رافقته في الصبا، ثم أنشأت تقول:

كنا كزوج حمائم في أيكة متنعمين بصحة وشباب[5]

فغدا الزمان مشتتاً بفراقه إنَّ الزمان مفرّقُ الأحباب

قال: فبكيت لرقة شعرها، فأنشأت تقول:

تبكي عليه ولست تعرف أمره فلأعلمنك حاله ببيان

ما كان للعافين غير نواله فإذا استجير ففارس الفرسان[6]

لا تتبع الجيران رفة طرْفه ويُتابعُ الإحسان للجيران

عفٌ السريرة والجهيرة مثلها فإذا استُضيمَ أراك فَتْقَ طعان[7]

قلت: أعلميني من هو؟ قالت: سنان بن وبرة الذي يقول فيه الشاعر:

---

[1]- البان: شجر معتدل القوام لين، يؤخذ من حبه دهن طيب.

[2]- اجتث: اقتطع واقتلع، ويكر: يتعاقب نزوله، والترحات: الأحزان.

[3]- عيون الأخبار ج٤ ص ٣١.

[4]- صحار: مدينة على ساحل عمان.

[5]- أيكة: شجر كثيف. النوال: العطاء.

[6]- العافين: طلاب المعروف، والنوال: العطاء.

[7]- استضيم: أهين.

يارائداً غيثاً لنجعة قومه يكفيك من غيث نوال سنان

قالت: يا هذا والله لولا أنك غريب ما متعتك من حديثي. قلت: فكيف كان حبه لك؟ قالت: ما كان يوسِّدني إذا نمتُ إلا يده، فمكثت معه أربعة أحوال مـــا توســـدت غيرها إلا في حال يمنعه مانع[1].

لا هنيت العيش بعدك

*وعن أبي حمزة الكناني قال: كنت في حرس خالد بن عبد الله القسري[2]، فقال خالد من يحدثني بحديث عسى يستريح إليه قلبي؟ فقلت: أنا. فقال: هات. فقلت: إنـــه بلغني أنه كان فتى من بني عذرة، وكانت له امرأة منهم، وكان شديد الحب لها، وكانت له مثل ذلك، فبينا هو ذات يوم ينظر وجهها إذ بكى، فنظرت إلي وجهه وبكت، فقالت له: ما الذي أبكاك؟ قال: والله، أتصدقيني إن صدقتك، قالت: نعم. قال لهـــا: ذكـــرت حُسنك وجمالك وشدة حبي، فقلت أموت فتتزوج زوجاً غيري. فقالـــت: والله والله، أن ذاك الذي أبكاك؟ قال: نعم. قالت: وأنا ذكرت حسنك وجمالك وشدة حبي لك فقلـــت: أموت فيتزوج امرأة غيري. قال الرجل: فإن النساء حرام عليَّ بعدك.

فلبثا ما شاء الله. ثم إنَّ الرجل توفي فجزعت عليه جزعاً شديداً فخاف أهلهـــا على عقلها أن يذهل[3]، فأجمع أنهم على أن يزوجوها، وهي كارهة، لعلها تتسلى عنه. فلما كان في الليلة التي تُهدى فيها إلي بيت زوجها، وقد نام أهل البيت، والماشـــطة[4] تهيئ من شعرها، إذ نامت نومه يسيرة فرأت زوجها الأول داخلاً عليها من الباب وهو يقول: خنت يا فلانة عهدي، والله لا هنيت العيش بعدي، فانتبهت مرعوبة، وخرجـــت هاربة على وجهها، وطلبها أهلها فلم يقعوا لها على خبر[5].

---

[1]- روضة المحبين ص ٣٤٨.

[2]- هو أبو الهيثم، أحد خطباء العرب، يماني الأصل، قُتل في عهد الوليد بن عبـــد الملـــك ســـنة ١٢٦هـــ.

[3]- يذهل: يفسد ويذهب.

[4]- الماشطة: المزينة.

[5]- أخبار النساء لابن الجوزي ص ١١٤-١١٥.

الآن طابت نفسي بالموت

*ولما قُدِّم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم قالت زوجته: إن لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيك بها، فقال: أسرعي فإن الناس قد كثـــروا وكـــان مروان قد جلس لهم بارزاً عن داره فمضت إلي السوق وأتت إلي فصاب.

فقالت: أعطني شفرتك وخذ هذين الدرهمين وأنا أردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعــت شـــفتيها، وردت الشفرة إلي القصَّاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس، فقالت: أتراني يا هدبـــة متزوجة بعدما ترى؟ فقال: الآن طابت نفسي بالموت، فجزاك الله مـــن خليلـــة وفيـــه خيراً[1].

ثلاثية الموت

*قال ياقوت في "معجم الأدباء": حدَّث موسى بن هارون قال:

كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر، فاستأذن عليه الزبير بـــن بكار، فلمَّا دخل عليه أكرمه وعظمه، وقال له: إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بينا الآداب، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقلدك القضاء.

فقال له الزبير بن بكار: أبعد ما بلغت هذه السن، ورويت بأن من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين، أتولى القضاء؟

فقال له: فلتلحق بأمير المؤمنين بـــ"سر من رأى" بلدة..

فقال له: أفعل.

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشر تخوت ثياب، وظهر يحمله، ويحمل ثقلـــه إلي بلدة "سر من رأى".

فلمَّا أراد الانصراف قال له: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً نرويه عنك ونذكرك به.

قال: نعم.. انصرفت من عمرة المحرم فبينما أنا بأثاية العرج - مكان بعـــد المدينة إذ أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم، وإذا برجل يقتنص الظباء، وقد وقع ظبي

---

[1]- المستطرف ج١ ص ٢٣٢.

في حباله فذبحه فانتقض الظبي في يده، وضرب بقرنه صدره، فنشب القرن فيه فمات.
وإذا بفتاة كالمهاة، فلمَّا رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

أضحت فتاة بنى نهد علانية   وبعلها في أكف القوم محتملُ
وكنت راغبة فيه أضن به   فحال من دون ضن الرغبة الأجلُ

ثم شهقت فماتت. فما رأيت أعجب من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح، والفتاة ميتة!

فلمَّا خرج الزبير بن بكار، قال الأمير محمد بن عبد اله: أي شئ أفدنا من الشيخ؟

قالوا: الأمير أعلم.

قال: قوله: "أضحت فتاة بنى نهد علانية" تعنى ظاهرة.

وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل اليوم، أما أن الذي أخذناه من الفائدة في قولها: "أضحت بنى نهد علانية" أكثر عندي مما أعطيناه من الحباء والصلة!

قلبي بود عن سواك بخيل

*ذكر ابن القيم الجوزى في "أخبار النساء":

قال: كان لأشجع بن عمرو السلمي[1] جارية، يُقال لها ريم، وكان يجد بها وجداً شديداً، وتجد به. وكانت تحلف له أنها إن بقيت بعده لم يحكم عليها رجل أبداً. فقال يخاطبها:

إذا غمضت فوقى جفون حفيرة   من الأرض فابكيني بما كنت أصنع[2]
تعزيك عني، بعد ذلك سلوةٌ،   وإن ليس فيمن وارت الأرض مطمع

فأجابته ريم تقول:

ذكرت فراقاً والفراق يصدع،   وأي حياة بعد موتك تنفع[1]

---

[1]- هو أشجع بن عمرو السلمي، أبو الوليد، من بنى سليم من قيس عيلان شاعر فحل كان معاصراً بشار، مات حوالي سنة ١٩٥هـ.

[2]- غمضت جفون حفيرة: أي إذا مات وألحد التراب.

إذا الزمن الغدار فرق بيننا، فما لي في طيب من العيش مطمع
فلو أبصرت عيناك عيني أبصرت شآبيب جُدْر غيثها لبس تقشع[٢]

...ولمَّا مات أشجع، آلت على نفسها أن لا تأكل طعامـــاً، ولا تـــذوق شـــراباً فعاشت بعده أياماً، ثم توفيت، فدُفنت إلي جانبه.

حنينٌ إلى الوطن

*قال إسحاق: خرجت امرأة من قريش من بني زهرة إلي المدينة تقضى حقاً لبعض القرشيين. وكانت ظريفة جميلة، فرآها من بني أمية رجل فأعجبته، وتأملهـــا فأخذت بقلبه، وسأل عنها فقيل له: هذه حميدة بنت عمر بـــن عبـــد الله بـــن حمـــزة. ووصفت له بما زاد فيها كلفه[٣]، فخطبها إلي أهلها فزوجوه إياها على كـــره منهـــا، وأهديت إليه فرأت من كرمه وأدبه وحسن عشرته ما وجدت به، فلم تقم عنده إلا قليلاً حتى أخرج أهل المدينة بنى أمية إلي الشام، فنزل بها أمر ما ابتليت بمثلـــه، فاشـــتد بكاؤها إلي زوجها وبكاؤه عليها، وخيرت بين أن تجمع معه مفارقة الأهـــل والولـــد والأقارب والوطن أو تتخف عنه مع ما تجد به، فلم تجد شيئاً أخف عندها من الخروج معه مختارة له على الدنيا وما فيها. فلما صارت بالشام صارت تبكى ليلها ونهارها ولا تتهنّأ طعاماً ولا شراباً شوقاً إلي أهلها ووطنها، فخرجت يوماً دمشق مع نسوة تقضي حقاً لبعض القرشيين فمرت بفتى جالس على باب منزله، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

ألا ليت شعري، هل تغير بعدنا صحون المصلى أم كعهدي القرائن[٤]
هل أدور حول البلاط عوامرٌ من الحي أم هل بالمدينة ساكن[٥]
إذا لمعت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق مني برقها المتيامنُ[٦]

---

[١]- يصدع: يفرق ويشتت.

[٢]- الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر، والحدر: المنحدرة إلى أســـفل، والغيـــث: المطر، وانقشع السحاب: أي جلا وزال.

[٣] - الكلف: العشق والهيام.

[٤]- صحون المصلى: ساحة المسجد.

[٥]- أدور: جمع دار، والبلاط: اسم موضع في المدينة.

[٦]- المتيامن: السائر يمنة.

ما أشخصتنا رغبةٌ عن بلادنا ولكنه ما قدر الله كائن[1]

فلمَّا سمعت المرأة ذكر بلدها وعرفت المواضع، تنفست نفساً صدع فؤادها فوقعت ميتة. فحملت إلي أهلها وجاء زوجها، وقد عرف الخبر، فانكب عليها فوقع عنها ميتاً، فغسلاَ جميعاً وكُفنا ودُفنا في قبر واحد[2].

فصبرٌ جميل

*قال خليفة بن خياط: ما رأيت أشد كمداً من امرأة من بنى شيبان، قُتل ابنها وأبوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها مع الضحاك[3] الحروري؛ فما رأيتها قط ضاحكة ولا مبتسمة حتى فارقت الدنيا، وقالت ترثيهم:

من لقلب شفه الحزنُ ولنفس ما لها سكنُ
ظعن الأبرار فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا
معشرٌ قضَّوا نُحوبَهم كلُّ ما قد قدموا حسنُ
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا
فتيةٌ باعوا نفوسهم لا، ورب البيت ما غبنوا
فأصاب القوم ما طلبوا منه ما بعدها مننُ[4]

وفاء نزيف

*ذكر السيوطى في "المستظرف من أخبار الجواري" أن "نزيف" كانت من الإماء الشواعر من مولدات البصرة. كانت جارية للمأمون وقدمها على سائر حظاياه، ولما مات قصرت نفسها على البكاء عليه فرثته وناحت عليه وبكته حتى ماتت ومن شعرها:

يا ملكاً لست بناسيه نعي لأن العيشَ ناعيه
والله ما كنت أرى أنني أقوم في الباكين أبكيه
والله لو يقبل فيه القضا لكنت بالمهجة أفديه

وقالت:

---

[1]– أشخصتنا: أبعدتنا.

[2]– أخبار النساء لابن الجوزي ص ١١٥-١١٦.

[3]– هو الضحاك بن قيس الشيباني: زعيم حروري من الشجعان الدهاة.

[4]– العقد الفريد لابن عبد ربه.

إن الزمان سقانا من مهارته بعد الحلاوة أنفاساً فأروانا
أبدى لنا تارة منه فأضحكنا ثم انثنى تارةً أخرى فأبكانا

قلبي عندكم

*قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان: إنه لمَّا نفاه المتوكل إلي جزيرة أقريطش فطال مقامه بها، تمتع بجارية رائعة الجمال بارعة الكمال، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتدبيرها، وكان قبل ذلك متيماً بجارية خلَّفها بالعراق، فسلا عنها، فبينما هو مع الأقريطشية في سرور وحبور، يحلف لها أنه لا يفارق البلد ما عاش، إذ قدم عليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب:

كيف بعدي لا ذقتم النوم أنتم خبروني مُذْ بِنْتُ عنكم وبِنْتُمْ[1]
بمراض الجفون من خردّ العين وورد الخدود بعدي فتنتم
يا أخلاي أن قلبي وأن بان من الشوق عندكم حيث كنتم
فإذا ما أبى الإله اجتماعاً فالمنايا عليَّ وحدي وعشتم

أخذت هذا المعنى من قول حاتم:

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت، فكن أنت الذي تتأخر

فلم يباشر لذة بعد كتابها، حتى رضي عنه المتوكل وصرَّفه إلــي أحــسن حالاته[2].

وفاء الضرائر

قيل: تزوَّج والدي الشيخ حسن الجبرتي بنتَ رمضان جلبي، وكانت به بارّة وله مطيعة. ومن جملة برّها له وطاعتها أنها كانت تشتري له من السراري الحــسان من مالها، وتنظمهن بالحلي والملابس، وتقدمهن إليه، وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك. وكان يتزوج عليها كثيراً من الحرائر، ويشتري الجواري، فلا تتــأثر مــن ذلك، ولا يحصل عندها ما يحصل في النساء من الغيرة.

ومن الوقائع الغريبة أنه لما حجَّ في سنة ١١٥٦هـ. واجتمع به الشيخ عمر

---

[1]- بنتم: فارقتم.
[2]- المرجع السابق.

الحلبي بمكة، أوصاه الحلبي بأن يشترى له جارية بيضاء تكون بكراً دون البلوغ، وصفتها كذا وكذا، فلما عاد من الحج طلب اليسرجية الجواري لينتقى منهن المطلوب، فلم يزل حتى وقع على الغرض فاشتراها، وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه بإرسالها صحبته.

فلمَّا حضر وقت السفر أخبرها بذلك، فقالت: إني أحببت هذه الوصيفة حباً شديداً، ولا أقدر على فراقها، وليس لي أولاد، وقد جعلتها مثل ابنتي.

وبكت الجارية أيضاً، وقالت: لا أفارق سيدتي، ولا أذهب من عندها أبداً.

فقال: وكيف يكون العمل؟

قالت: أدفع ثمنها من عندي، واشترِ أنتَ غيرها.

ثم إنها أعتقتها، وعقدت لزوجها عليها، وجهزتها وفرشت لها مكاناً على حدتها. وبنى بها والدي في سنة ١١٦٥هـ. وكانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضرتها وولدت له أولاداً.

فلمَّا كان في سنة ١١٨٢هـ، مرضت الجارية، فمرضت لمرضها، وثقل عليهما المرض. فقامت الجارية في ضحوة النهار، فنظرت إلي مولاتها وكانت في حالة من الإغماء، فبكف وقالت:

إلهي إن كنت قدرت موت سيدتي، اجعل يومي قبل يومها.

ثم رقدت، وماتت تلك الليلة. فأضجعوها بجانبها. فاستيقظت مولاتها آخر الليل. وجسّتها بيدها، وصارت تقول: زليخا! زليخا!

فقالوا لها: إنها نائمة.

فقالت: إنَّ قلبي يحدِّثني أنها ماتت، ورأيت في منامي ما يدل على ذلك فقالوا لها: حياتك الباقية.

فقامت وهي تقول: لا حياة لي بعدها.

وصارت تبكى وتنتحب حتى طلع النهار، وغسلوها بين يديها وشالوا جنازتها. ورجعت هي إلي فراشها، وماتت آخر النهار. وخرجوا بجنازتها في اليوم التالي.

وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيته ووعيته. وكان سني إذ ذاك أربع عشرة سنة[1].

---

[1]- عجائب الآثار للجبرتي، وكتاب "ألف حكاية وحكاية" ص ٢٥٥ – ٢٥٦.


الباب الرابع
نساء نقضن العهد بالوفاء

كن من خيرهن على حذر

*كانت فاطمة بنت الحسين بن علي عند حسن بن حسن بن علـــي، فلمَّـا احتضر قال لبعض أهله: كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفـان إذا ســمع بموتي قد جاء يتهادى في إزار له مورد قد أسبله، فيقول: جئت أشهد ابـن عمـي، وليس يريد إلا النظر إلي فاطمة، فإذا جاء فلا يدخلن! قال: فو الله مـا هـي إلا أن أغمضوه، فجاء عبد الله بن عمرو في تلك الصفة التي وصفها، فمنع ساعة، فقـال بعض القوم: لا يدخل، وقال بعضهم: افتحوا له، فإن مثله لا يُـرد. ففتحـوا لـه، ودخل، فلما صرناً إلي القبر قامت عليه فاطمة تبكى، ثم اطلعت إلي القبر فجعلـت تصك وجهها بيديها حاسرة، قال: فدعا عبد الله بن عمرو وصيفاً له فقال: انطلـق إلي هذه المرأة وقل لها: يقرئك ابن عمك السلام، ويقول لك: كفي عن وجهك، فإن لنا به حاجة! فلمَّا بلغها الرسالة أرسلت يدها فأدخلتهما في كميها حتـى انـصرف الناس.

فتزوَّجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك، فولدت له محمد بن عبد الله، وكـان يسمى المذهب، لجماله، وكانت ولدت من حسن بن حسن، عبد الله ابن حسن الـذي حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ابني عبد الله بن الحسن ابن الحسن حتـى قتلهما[1].

فتوى

*ويُروى أن عبد الله بن أبى بكر الصديق، رضي الله عنه، تزوَّج عاتكـة بنت زيد بن عمر بن نفيل فعشقها وأحبها حباً شديداً وكانت عنده حتى توفي عنها. وكان قد أخذ عليها يميناً أن لا تتزوج بعده، فجاءها عمر بن الخطاب، رضـى الله عنه، فأفتاها أن تتزوج، فقالت: لست أقبل في هذا كلامك وحدك - لأنه قد بلغها أنه يريد أن يتزوجها - فجاءت بعلي بن أبى طالب، رضى الله عنه، فأفتاهـا بـذلك،

[1]- العقد الفريد ج٧ ص٨٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص ٤٧٤ .

فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتزوجته، فبعث إليهـا بعـشرين دينـاراً كفرت بها عن يمينها، ثم توفي عنها فخطبها طلحة بن عبيد الله، فلقي الزبير بـن العوام هناد بن الأسود، وكان لهناد امرأة كانت صديقة لعاتكة فقال له الزبير: ما أنا عنك براض حتى تزوجني عاتكة بنت زيد. قال، فحلف هناد لامرأته إن هـي لـم تزوج الزبير لعاتكة ليجلدنها مائة جلدة. فانطلقت امرأة هناد لعاتكة، وكانت عنـدها حتى آتاها رسول طلحة بن عبيد الله فقالت له: فديتك ومن يرد طلحة لقدمه وشرفه وسخائه؟ ولكن ردي رسوله اليوم فإنه سيزيدك ضعفاً ما أراد أن يعطيك. فردتـه، فقالت امرأة هناد لهناد: القَ طلحة فقل له: أما تستحي أن عاتكة ردتك وحلفت أن لا تتزوجك ؟ ففعل ذلك، فقال طلحة: لا أتزوجها أبداً. فأمرت الزبير أن يرسل إليهـا، فجاءها رسوله وهي عندها فقالت لها امرأة هناد: قد بلغك ما في حق الزبيـر مـن الشدة، أما والله لو تزوجته ثم غلبت عليه ليكونن لك بذكر الشرف في نساء قريش، ثم لم تزل بها حتى تزوجت الزبير[1].

الزواج المربح

*وروى ابن الجوزي في "أخبار النساء" قال:

قال الزبير: لمّا حضرت الوفاة حمزة بن عبد الله بن الزبير خرجت عليـه فاطمة بنت القاسم بن علي بن جعفر بن أبي طالب فقال لها: كأني بـك تزوَّجـت طلحة بن عمر بن عبد الله بن معمر، فحلفت له بعتق رقيقها[2]، وإن كل شئ لها في سبيل الله إن تزوجته أبداً. فلما توفي حمزة بن عبد الله وحلت، أرسل إليها طلحة بن عمر فخطبها فقالت له: قد حلفت. وذكرت يمينها، فقال لها: أعطيـك بكـل شـئ شيئين. وكانت قيمة رقيقها وما حلفت عليه عشرين ألف دينار، فأصدقها[3] ضـعفها فتزوجته، فولدت له إبراهيم ورملة. فزوج طلحة ابنته رملة من اسماعيل بن علـي بن العباس بمائة ألف دينار وكانت فائقة الجمال والخلق، فقال إسماعيل لطلحة بـن

---

[1]- أخبار النساء لابن الجوزى ص ١٧٦ .

[2] – عتق الرقيق: تحريرهن .

[3] – أصدقها: من الصداق، وهو مهر المرأة .

عمر: أنتِ أتجر الناس. قال له: والله ما عالجت تجارة قط. قال: بلى، حين تزوجت فاطمة بنت القاسم بأربعين ألفاً فولدت لك إبراهيم ورملة، فزوَّجت رملة بمائة ألف دينار فربحت ستين ألفاً وإبراهيم.

دعْ عنك مَنْ قد وارت الأرض شخصه!

*قال عبد الله بن عكرمة: دخلت على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي أعوده، فقلت: كيف تجدُك ؟ فقال: أجدني والله بالموت، وما موتي بأشد عليَّ من تمتع أم هشام، أخاف أن تتزوج - يعنى امرأته - فحلفت له وآلت ألا تتزوج بعده، فغشى وجهه نور، ثم قال: شأن الموت أن ينزل مني شاء، ثم مات، فتزوَّجت بعمر بن عبد العزيز، فقلت:

فإن لقيت خيراً لا يهنئنَّها وإنْ تعست فلليدين وللفم

فبلغها، فكتبت إليَّ: قد بلغني ببتك الذي تمثلت به، وما مثلي ومثل أخيك إلا كما قال الشاعر:

وهل كنت إلا والها ذات فرحة قضت نحبها بعد الحنين المرجَّع[1]

متى تسل عنه تذكره بعد طيه من الأرض أو تقنع بإلف فتربع

فدْع عنك منْ قد وارت الأرض شخصه وفي غير منْ قد وارت الأرض فأطمع[2]

فبلغ ذلك مني كل غيظ، واحتسب حسابها، وإذا هي قد أعجلت عدتها، وقد بقى عليها أربعة أيام، فدخلت على عمر[3] فأخبرته بذلك، فنقض النكاح وعُزل عن المدينة[4].

كذالك الهوى بعد الممات يبيد

*وقال الزبير بن بكار: كانت امرأة من العرب تزوَّجت رجلاً، فكانت تجد به، ويجد بها وجداً شديداً، فتحالفا وتعاهداً أن لا يتزوج الباقي منهما. فما لبث أن مات بعلها، فتزوَّجت، فلامها أهلها على نقض عهدها، فقالت:

لقد كان حبي ذاك حباً مبرحاً وحبي لذا إذ مات ذاك شديد

وكانت حياتي عند ذلك جنةً وحبي لذا طول الحياة يزيد

---

[1]- الوالة: العاشقة، والترحة: الحزن، والمرجع: المتردد والمنقطع، وقضت نحبها : ماتت .

[2]- وارت الأرض: أخفت .

[3]- عمر: هو عمر بن عبد العزيز، وكان حينئذ أميرا على المدينة.

[4] - عيون الأخبار ج٤ ص ١١٧.

فلما مضى عادت لهذا مودتي، كذاك الهوى بعد الممات يبيد[1]

لا يهنك الإلفُ الجديد

*وقيل: كانت غادر جارية لموسى المهدي، وكان يحبها حباً شديداً جداً، وكانت تحسن الغناء جداً، فبينما هي يوماً تغنيه، إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونه، فسأله بعض الحاضرين: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخذتني فكرة أني أموت، وأخي هارون يتولى الخلافة ويتزوج جاريتي هذه، ففداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر، ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع، فعوّذه الرشيد من ذلك، فاستحلفه الهادي بالأيمان المغلظة من الطلاق والعتاق[2] والحج ماشياً حافياً، أن لا يتزوَّجها، فحلف له، واستحلف الجارية كذلك فحلفت له، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات، ثم خطبها الرشيد فقالت: كيف بالأيمان التي حلفناها أنا وأنت ؟ فقال: إني أكفر عني وعنك، فتزوجها وحظيت عنده جداً، حتى كانت تنام في حجرة فلا يتحرك خشية أن يزعجها، فبينما هي ذات ليلة نائمة إذ انتبهت مذعورة تبكي، فقال لها: ما شأنك ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامي هذا وهو يقول:

أخلفت عهديَ بعدَما جاورت سكّان المقابرْ
ونسيتني وحنثت في أيمانك الكذب الفواجر[3]
وتزوّجت غادرة أخي صدق الذي أسماك غادر
أمسيتُ في أهل البلى وعددت في الموتى الغوابر
لا يهنك الإلف الجديد ولا تدرْ عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصباح وصرت حيثُ غدوت صائر

فقال لها الرشيد: أضغاث أحلام، فقالت: كلاّ والله يا أمير المؤمنين، فكأنما كتبت هذه الأبيات في قلبي، ثم ما زالت ترتعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح[4].

---

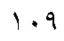
[1] - أخبار النساء ص ١٣١.

[2] - العتاق: البراءة من الله ورسوله وكل كريم .

[3] - حنث في اليمين: نكث بها .

[4] - البداية والنهاية لابن كثير ج١٠ ص ١٦٩-١٧٠، وانظر القصة الكاملة في كتاب الأغاني.


الباب الخامس
غدر المرأة



*قيل: من اقتراب الساعة طاعة النساء. ويُقال: من أطاع عِرسه فقد أضاع نفسه. وقال علي رضي الله تعالي عنه: إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلي أفن[1] وعزمهن إلي وهن[2]، اكفف أبصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الإرتياب، وليس خروجهن بأضرّ من دخول مَنْ لا يُوثق به عليهن فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل.

*وقال السمعاني:

لا تأمننّ على النساء ولو أخا ... ما في الرجال على النساء أمين
إن الأمينَ وإن تحفظ جهده ... لا بد أن بنظره سيخون

*وقال غيره:

لا تركننّ إلي النساء ... ولا تثق بعهودهنّ
فرضاؤهنّ جميعهن ... معلق بفروجهن[3]

*وقال أبو نواس:

ومُظهرةٍ لخَلْقِ الله حباً، ... وتلقى بالتحية والسلام
أتيت فؤادها أشكو إليه، ... فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليلٌ ... ولا ألفا خليلٍ كلَّ عام
أراك بقية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام[4]

*وقال ابن بشار:

رأيت مواعيد النساء كأنها ... سراب لمرتاد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهنّ كالذي ... يؤمل يوماً أن تلين الجنادل

---

[1] - أفن: زوال.

[2] - وهن: ضعف.

[3] - المستطرف ج٢ ص ٣٥٥.

[4] - أخبار النساء لابن الجوزي ص ١٢٩.

*قال بعض الحكماء: لم تنه المرأة عن شئ قط إلا فعلته، وقال الغنوى:

إنّ النساء متى ينهين عن خلق	فإنه واقع لا بد مفعول

*وقال علي رضي الله تعالي عنه: لا تطلعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن إلا لتدبير العيال، إنْ تركن وما يردن أوردن المهالك، وأفسدن الممالك، ينسبن الخير، ويحفظن الشر، يتهافتن في البهتان، ويتمادين في الطغيان[1].

*وكان الحسن يقول: جهد البلاء أربعة: كثرة العيال، وقلة المال، وجار السوء في دار المقام، وزوجة تخون[2].

*وكان رجلٌ يحب امرأة فخطب في اليوم الذي ماتت فيه، فقيل له في ذلــك، فقال:

خطبت كما لو كنت قدمت قبلها	لكانت بلا شك لأوّل خاطب
إذا غاب بعلٌ كان بعلٌ مكانه	فلا بدَّ من آت وآخر ذاهب[3]

*وذكر عبد الملك بن قريب قال: هوى رجلٌ من النساء جارية حبة لها. فبعث إليها يخطبها. فامتنعت وأجابته إلي غير ذلك، فأبى لا إلا ما أحل الله، ثم إن محبتــه ألقيت في قلبها فبذلت له ما سأل، فقال والله لا حاجة لي بمن دعوتها إلي طاعــة الله ودعتني إلي معصية الله [4].

*وأراد رجل أن يشتري قينة[5] وقد كان أحبها، فبات عند مولاها ليلة فأمكنته من نفسها وكان الامتناع منه، فأنشأ يقول:

ما رأينا بواسطٍ كسليمي	منظراً لو تُزينه بعفاف[6]
بتُ في جنبها وبات ضجيعي	جُنُب القلب طاهر الأطراف[1]

---

[1]- المستطرف ج٢ ص ٣٥٥.

[2]- الزهد للإمام الحسن البصري ص ١٣٢.

[3]- أخبار النساء ص ١٢٩.

[4]- روضة المحبين ص٤٥٦.

[5]- القينة: الجارية المغنية.

[6]- واسط: مدينة في العراق.

فأقيمي مقامنا ثم بيني، لست عندي من فتية الأشراف[2]

*وقال مصعب بن عثمان: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة بيته، فسألته نفسه فامتنع عليها، فقالت: إذن أفضحك، فخرج هارباً عن منزله وتركها فيه[3].

*وقال العتبي: اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات، قالوا: لا تحملن على قلبك ما لا تطيق، ولا تعملن عملاً ليس فيه منفعة، ولا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وإن كثر[4].

*قال علقمة بن عبدة[5]:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيبُ[6]

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودَهن نصيبُ

ضفائر الشَّعر

*قَّدمت سارة مولاة عمرو بن صفي بن هاشم بن عبد مناف إلي المدينة بحثاً عن حانة ترقص أو تغني فيها.. ولكن شتان بين حياة العابد وحياة الفاسق، فقد هجر أهل المدينة مباهج الدنيا وحانات اللهو وصاحبات الرايات الحمراء[7] والتزموا بالصدق والعفة وتفرَّغوا لعبادة الحي القيوم ونصرة رسوله الكريم. لذا استقر عزم سارة على الذهاب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرها سألها برفق: أمسلمة جئت؟

قالت سارة: لا.

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أمهاجرة جئت؟

---

[1]– جنب القلب: أي أن قلبه كان يتمنى النكاح، ولكنه لم يجاريه على رغبته بالفعل.

[2]– أخبار النساء ص ١٢٨.

[3]– روضة المحبين ص ٤٦٣.

[4]– العقد الفريد ج٣ ص٨٣.

[5]– هو علقمة بن عبدة ويُقال له: علقمة الفحل، شاعر جاهلي من بني تميم، وسمي بالفحل لأنه احتكم مع امرئ القيس إلي امرأته أم جندب، فحكمت لعلقمة على زوجها امرئ القيس فقال لها زوجها: ما هو بأشعر مني ولكنك له وامق، وقيل أن إن تسميته بالفحل ليس لذلك، بل لأن هناك رجلاً في قومه يقال له علقمة الخصي، ففرقوا بينهما بهذا الاسم "الشعراء والشعراء لابن قتيبة".

[6]– أدواء: جمع دواء، والطبيب: الخبير والحاكم.

[7]– كانت الفانيات الفاسقات يضعن على بيوتهن رايات حمراء كعلامات عليهن.

قال سارة: لا

فتساءل محمد – صلى الله عليه وسلم –: فما حاجتك؟

قالت سارة: كنت كثيرة العشيرة والأصل والموالي وقد ذهبت موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني.

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: فأين أنت من شباب أهل مكة؟ مـــا كان في غنائك ما يغنيك؟

وكانت سارة مغنية نائحة بمكة فقالت: ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر.

وأسلمت سارة، فحثَّ النبي صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب وبنى هاشم على الإحسان إليها فكسوها وأعطوها نفقة.

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عزمه على السير إلي مكـــة بعـــد أن غدرت قريش بشروط صلح الحديبية وأمدت بنى بكر بالرجال والسلاح للثأر من قبيلة خزاعة.

ودعا صلى الله عليه وسلم ربه قائلاً: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قـــريش حتى نبغتها في بلادها. اللهم خذ عن أسماعهم وأبصارهم فـــلا يرونــــا إلا بغتــــة ولا يسمعون بنا إلا فجأة".

ووقف بكل طريق جماعة من المسلمين ليعرف منْ يمر بها وقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه".

وكان في المدينة من يشفق على قريش من المهاجرين من أمثال حاطب بـــن أبى بلتعة، والذي كان حليفاً لبنى أسد بن عبد العزي، فأراد أن يبعث كتاباً إلي سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام – سادات قريش – يحذرهم ويخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إلي مكة بجيش كالليل يسير كالسيل. وأقسم بأنه لو سار إليهم وحده صلى الله عليه وسلم لينصرنه الله عـــز وجل على أهل مكة فإنه منجز له ما وعده فيهم. فإن الله تعالي ناصره ووليـــه. وقـــد أحب حاطب بن أبى بلتعة أن تكون له يد بكتابة إليهم. وراح حاطب بن أبى بلتعة يفكر فيمن يحمل ذلك الكتاب إلي أشراف مكة.. وتذكر سارة مولاة عمرو بن صـــفي بـــن

هاشم.. فانطلق إليها وقدم إليها بردة وعشرة دراهم ولمعت عيناها بما ينتظرها من خير لما تضع الكتاب في أيدي سادات قريش. وقال لها حاطب بن أبى بلتعة:

"أخفي الكتاب ما استطعت. لا تمري على الطريق فإن عليه عيوناً وحرساً. فجعلت سارة الكتاب في رأسها ثم فتلت عليه قرونها خوفاً أن يطلع عليه أحد".. ثم غادرت سارة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وسلكت غير الطريق.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب بن أبى بلتعة.. فقال النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبى طالب والزبير بن العوام: أدركا امرأة - سارة - بمحل كذا وقد كتب معها حاطب بكتاب إلي قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فإن أبت فاضرباً عنقها.

فخرج علي والزبير حتى أدركا سارة في ذلك المحل الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاها: أين الكتاب؟ فقالت سارة: أي كتاب؟ قال علي والزبير: الكتاب الذي بعثه حاطب بن أبى بلتعة إلي سادات قريش.

فقالت سارة: والله ما أعطاني حاطب شيئاً وما معي من كتاب.

فاستنزلاها وفتشاها والتمسا في رحلها الكتاب ولكن لم يجدا شيئاً.. فقال علي بن أبى طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قط ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك أو أضرب عنقك.

فلمَّا رأت سارة الجد من أبى الحسن قالت له: أعرض.

فأعرض علي بن أبى طالب.. فحلت سارة قرون رأسها - ضفائر رأسها - فاستخرجت الكتاب منه - فدفعته إليه.. فأتى علي والزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدماه إليه.

رجعت سارة إلي مكة فارتدت عن الإسلام، ونسيت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن عليها فالعرق وساس، وراح عبد الله بن خطل يلقى عليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغنى به. ولكن هذا لم يدم طويلاً فسرعان ما دخل النبي عليه السلام مكة فاتحاً، وأهدر دم جماعة من قريش وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة من بينهم سارة، فاختلفت في دار أسفل مكة ولكنها أدركت أن الأرض ضاقت بما رحبت.. فخرجت بعد أيام وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: السلام

عليك يا نبي الله - اصفح عن جهلي وعما كان منى فإني مقرة بسوء فِعلـــي معترفـــة بذنبي.. وإني جئت مقرة بالإسلام وأنا أشـــهد أن لا إلـــه إلا الله وأن محمـــداً عبـــده ورسوله.

فأمَّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثمرة الخيانة

*كان الصحابي الجليل هلال بن أمية الأنصاري أحد الثلاثة الذين تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. فلما عاد النبي عليه السلام منتـــصراً جاءه المخلفون يبسطون له المعاذير وينتحلون الأسباب ويقسمون بالله جهـــد أيمـــانهم فبايعهم ووكل أمرهم وسرائرهم إلي علام الغيوب. ثم أقبل كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة وهلال بن أمية فصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم القول فتركهم لقضاء الله وقدره، ونهى عن كلامهم أو الاختلاط بهم حتى يقضى الله أمراً كان مقضياً، فمـــرت عليهم الأيام ثقيلة تقتسمهم فيها الهموم والأحزان من جراء جفوة رسول الله صلى عليه وسلم لهم من جهة وعزلة الصحابة من جهة أخرى.

واستكان هلال بن أمية في بيته يبكي وينتحب عما بدر منه، وانقضت أربعون ليلة لم ينزل على النبي عليه السلام في أمرهم شئ فأرسل إليهم: اعتزلوا أهلكم حتى يقضي لله بالأمر فيكم. فذهبت خولة بنت عاصم إلي رسول الله صلى الله عليه وســـلم فقالت: يا رسول الله إن هلالا شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ فقال عليه السلام: لا ولكن لا يقربك. فقال خولة وهى تهز رأسها وتقلب كفيها: إنه والله ما به من حركة إلي شيء وأنه ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلي اليوم.

وظل الثلاثة أمرهم معلقاً وحديث الصحابة معهم محظوراً حتى انقضت عليهم خمسون ليلة وما صلى بعدها رسول الله صلي الله عليه وسلم صـــلاة الـــصبح حتـــى أطرق برأسه وغاب بروحه عن من حوله ثم أقبل على أصحابه متهلل الوجه وأعلـــن أن الله عز وجل قد قبل توبة كعب ومرارة وهلال. وجاء البشير هلالاً فقال: يا هلال بن أمية أبشر لقد تاب الله عليك وعلى كعب وعلى مرارة. وانطلق هلال إلي مـــسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه وسأله: يا نبي الله أمن عند الله يا رسول الله

أم من عندك؟ فقال عليه السلام: لا بل من عند الله. فقال هلال: الحمد لله الذي برأني من فوق سبع سماوات.

وذات يوم، وبينما الصحابة في مسجد رسول صلى الله عليه وسلم أخبرهم أن الله عز وجل قد أنزل: "والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً[1]".

ولم يلبث الحاضرون إلا قليلاً حتى جاء هلال بن أمية فقال:

يا رسول الله جئت من أرضي عشاء على أهلي فوجدت عندها شريك ابن سحماء - سحماء وهى أمه واسم أبيه عبدة بن مغيث بن الجد بن العجلان وكان شريك أخا البراء بن مالك من الرضاعة - فرأيت بعيني وسمعت بأذني.

فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بن هلال واشتد عليه وقال: "اتق الله في زوجتك فلا تقذفها بالبهتان".

فقال هلال بن أمية: وجدته على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر. يا رسول الله أقسم بالله إني رأيت شريك ابن سحماء على بطنها وإني ما قربتها منذ أربعة أشهر. يا رسول الله، أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً إن تكلم جلدتموه وإن قتله قتلتموه أو سكت على غيظ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البينة أوحد في ظهرك - جلدك ثمانين جلدة - فقال هلال بن أمية: يا نبي الله فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم إني لصادق. فقال رسول لله صلى الله عليه وسلم: البينة أوحد ظهرك.

فقال هلال بن أمية: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟

فقال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: البينة أوحد ظهرك.

فأسلم هلال بن أمية أمره إلي العليم الخبير وقال في استسلام: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد.

وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر بضرب هلال بن أمية.. ولكن

---

[1]- سورة النور، الآية (٤).

الوحي نزل على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه الوحي عرف أصحابه ذلك في تربد وجهه فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزل قوله تعالي:
"والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين* ويدرؤُا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين* والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين[1]".

ولمَّا سرى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أبشرْ يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً"، فقال هلال بن أمية في فرح: الحمد لله كنت أرجو ذلك من ربى عز وجل. فقال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: أرسلوا إليها فأرسلوا إلي خولة بنت عاصم فجاءت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين* ويدرؤُا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين* والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين* ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم".

وذكر رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – هلال بن أمية وخولة بنت عاصم وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا فقال هلال بن أمية: والله يا رسول الله لقد صدقت عليها.. فقالت خولة في تحدٍ: كذب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا عنوا بينهما، فقيل لهلال بن أمية: اشهد. فقال هلال بن أمية: أشهد بالله أن خولة زانية وإني لمنْ الصادقين.. أشهد بالله إني رأيت شريكاً على بطنها وإني لمنْ الصادقين.. أشهد بالله أنها حبلى من غيري وإني لمن الصادقين.. أشهد بالله إني ما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين، فلما كانت الخامسة، قيل: يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب.. فقال هلال بن أمية: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها، ثم قال: لعنة الله على هلال إن كان من الكاذبين.

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية بالقعود وقال لخولة:

---

[1]- سورة النور ، الآيات (٦-٩).

قومي، فقالت.. فقيل لها: اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين.. فقالت خولة: أشهد بالله ما أنا بزانية وأن هلالاً لمن الكاذبين.. أشهد بالله ما رأى شريكاً على بطني وإنه من الكاذبين.. أشهد بالله إني لحُبلى منه وإنه لمن الكاذبين.. أشهد بالله إنه ما رآني قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين.

وقيل لها في الخامسة: اتقى الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإنَّ هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب. وإن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟

فتلكأت ونكصت وتقصد العرق منها وزاغت عيناها حتى ظن أنها ترجع وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفضح قومي.

فقالت: إن غضب الله على خولة إن كان من الصادقين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله لأقضين بينكما قضاء فصلاً.

وفرَّق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: بين هلال وخولة وقضى أن لا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد. وقضى أن لا بيت لها ولا قوت لها من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن جاءت به – المولود – أصيهب أريشح حمش الساقين فهو لهلال وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خلدج الساقين سابغ الإليتين فهو الذي رمت به فهو لشريك ابن سحماء. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبصروها.

ووضعت خولة غلاماً أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين سابغ الإليتين – إنه يكون لشريك – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لولا الإيمان – لولا سبق من كتاب الله تعالي – لكان لي ولها شأن[1].

---

[1] – أنظر كتاب "نساء نزل فيهن قرآن" ص ٢٣–٢٦.

زوجة خائنة

*وعن الحسن: أن شابين كانا متآخيين على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فأغزى[1] أحدهما، فأوصى أخاه بأهله، فانطلق في ليلة ذات ريح وظلمة إلي أهل أخيه يتعهدهم، فإذا سراج في البيت يزهر[2] وإذا يهودي في البيت مع أهله وهو يقول:

وأشعثَ غره الإسلام مني | خلوت بعرسه ليل التمام[3]
أبيت على ترائبها ويضحي | على جرداء لاحقة الحزام[4]
كانّ مجامع الرَّبلات منها | فئامٌ ينهضون إلي فئام[5]

فرجع الشاب إلي أهله، فاشتمل السيف حتى دخل على أهل أخيه فقتله، ثم جره وألقاه في الطريق، فأصبح اليهود وصاحبهم قتيل لا يدرون منْ قتله، فأتوا عمر بن الخطاب فدخلوا عليه وذكروا ذلك له، فنادى عمر في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أنشد الله رجلاً علم من هذا القتيل علماً إلا أخبرني به، فقام الشاب فأنشده الشعر وأخبره الخبر.

فقال عمر: لا يقطع الله يدك، وهدر دمه[6].

ما يراني وإياك إلا الكواكب

*قال أبو عمرو[7] الشيباني: كان أبو ذؤيب الهذلي[8] يهوى امرأة يُقال لها أم عمرو، وكان يبعث إليها خالد ابن أخيه زهير، فراودت الغلام عن نفسه، فامتنع وقال:

---

[1] – أغزى: حمله على الغزو وبعثه إليه.

[2] – يزهر: يتلألأ ويضيئ.

[3] – الأشعث: المغبر الشعر، والعرس: الزوجة، وليلة التمام: أطول ليالي الشتاء.

[4] – الترائب: جمع تربية وهى موضع القلادة من الصدر، والجرداء: الفرس، ولاحقة الحزام: ضامرة البطن.

[5] – الربلات: جمع ربلة وهى لحمة باطن الفخذ، والفئام: الجماعة من الناس.

[6] – عيون الأخبار ج٤ ص ١١٦.

[7] – هو إسحاق بن مرار الشيباني، أبو عمرو، لغوى وأديب سكن بغداد ومات فيها سنة ٢٠٦هـ.

[8] – هو خويلد بن خالد، جاهلى إسلامى، له شعر مستجاء.

أكره أن يبلغ أبا ذؤيب. فقالت له: ما يراني وإياك إلا الكواكب. فبات معها وقال:

ما ثم إلا أنا والكواكب   وأم عمرو فلنعم الصاحب

فلمَّا رجع إلي أبي ذؤيب استراب[1] به، وقال: والله إني لأجد ريح أم عمرو منك. ثم جعل لا يأتيه إلا استراب به، فقال خالد:

يا قوم ما لي وأبي ذؤيب   كنت إذا ما جئته من غيب
يمس عطفي، ويشم ثوبي   كأنني أربته بريب[2]

فقال أبو ذؤيب، وهي من قصيدة من جيد شعره:

دعا خالداً أسرى ليالي نفسه   يولي على قصد السبيل أمورها
فلمَّا توفاها الشباب وغدره،   وفي النفس منه غدرها وفجورها
لوى رأسه عني، ومال بوده،   أغانيج خَوْد كان حيناً يزورها[3]
تعلقها منه دلال ومقلة   يظل لأصحاب السفاه يثيرها

فأجابه خالد:

فلا يبعدن الله عقلك إن غزاً   وسافر والأحلام جمّ غيورها[4]
وكنت إماماً للعشيرة تنتهي   إليك إذا ضاقت بأمر صدروها
وقاسمها بالله جهداً لأنتم   ألذّ من الشكوى إذا ما يسورها[5]
فلم يغن عنه خدعه حين أزمعتْ   صريمته والنفس مُرٌّ ضميرها[6]

قال: وكان أبو ذؤيب أخذها من ملك بن عويمر وكان ملك يرسله إليها، فلما كبر أخذت أبا ذؤيب، فلما كبر أخذت خالداً. وقال:

تريدين كيما تجمعيني وخالداً   وهل يصلح السيفان، ويحك، في غمد؟
أخالداً، ما رعيت مني قرابة   فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدى[7]

---

[1]- استراب: شك ودخلته الريبة والظنون.

[2]- يمس عطفي: أي يلمس جانبي، وعطف الرجل: جانبه من رأسه إلي ركبه.

[3]- الخود: المرأة الشابة الناعمة.

[4]- جم: كثير، ويبعدون الله عقلك: يذهبه.

[5]- يسورها: يحيط بها، والسورة: الغضب.

[6]- أزمعت: قررت، والصريمة: القطيعة والهج.

[7]- أخبار النساء ص ١٣٣-١٣٤.

لا حيّ فيُرجى ولا ميت فيُتسى!

*قال أبو عبيدة: كان صخر[1] بن عبد الله الشريد يتعشق ابنة عمه سلمى[2] بنت كعب، وكان يخطبها فتأبى عليه، فأقام على ذلك حيناً ثم أغارت بنو أسد على بني سليم فغلبوهم وصخر غائب. وأخذت سلمى فيمن أخذ من النساء، وقتل عدد منهم، وأسر آخرون. وأقبل صخر فنظر إلي ديارهم بلقعاً[3] وأخبر الخبر، فشد عليه سلاحه، واستوى على فرسه، وأخذ أثرهم حتى لحقهم، فلما نظروا إليه قالوا: هذا كان شرد من بني سليم، وقد أحب الله أن لا يدع منهم أحداً. فجعل يبرز إليه الفارس بعد الفارس فيقتله، فلما كثر فيهم القتل، حلت أساري بنى سليم بعضها بعضا، وثاروا على بني أسد. ونظر صخر إلي سلمى وهي مع عبد أسود، قد شدها على ظهره، فطعنه صخر فقتله واستنقذ سلمى ورجع بها. وقد أصابته طعنة أبى ثور الأسدي في جنبه، وتزوج سلمي. وكان يحبها ويكرمها، ويفضلها على أهله، ثم بعد ذلك انتفض[4]جرحه فمرض حولاً، وكان نساء الحي يدخلن إلي سلمي عوائد فيقلن: كيف أصبح صخر؟ فتقول: لا حي فيُرجى، ولا ميت فيُنسى. ومرَّ بها رجل وهى قائمة وكانت ذات خلق وأرداف، فقال: أيباع هذا الكفل[5]؟ فقالت: عن قريب. فسمعها صخر، ولم تعلم، فقال لها، ناوليني السيف أنظر هل صدئ أم لا؟ وأراد قتلها، فناولته ولم تعلم، فإذا هو لا يقدر على حمله فقال:

أرى أمّ صخر ما تملُّ عيادتي	وملّت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى أن أكون جنازة	عليك ومن يغتر بالحدثان[6]

---

[1]- هو أخو الخنساء الشاعرة، كان من فرسان بنى سليم وغزاتهم، توفي نحو سنة ١٠ق. هـ.

[2]- هي سلمى بنت كعب كان خطبها صخر فأبت حتى أغارت بنو أسد على قومها بني سليم فأسرت فيمن أسر فخلصها صخر وتزوج بها.

[3]- الأرض البلقع: الأرض الخراب.

[4]- انتفض جرحه: عاد إلي النزف بعد البرد.

[5]- الكفل: الردف والعجز.

[6]- الحدثان: الدهر.

فأيّ امرئ ساوى بأمّ حليلة فلا عاش إلا في شقاً وهوان[1]
أهمٌّ بأمر الحرم لو أستطيعهُ وقد حيل بين العير والنزوان[2]
لعمري لقد أيقظت من كان نائماً وأسمعت من كانت له أذنان
فللموت، خير من حياة كأنّها محلّة يعسوب برأس سنان[3]

قال: ونتأت[4] في موضع الجرح قطعة فأشاروا عليه بقطعها، فقال لهم: شأنكم. فلما قطعت مات[5].

بَعْرَة ورَوْثَةٌ وحصاة

*عن يحيى بن طفيل الجُشَمي قال: كان عند رجل من قريش امرأة يحبهـــا، فسافر عنها، فقالت له: أشيعك، فشيعته ثلاث مراحل، فلما مضى قالت لخادمها: ناولني بعرة وروثه وحصاة، فناولها، فألقت الروثة وقالت: راث خبـــرك[6]، وألقــت البعْـــرَة وقالت: وعِرَ سفرك، وألقت الحصاة وقالت: حُصّ[7] أثرك، فسمعها رجل على المــــاء فلحقه، فقال له: ما هذه منك؟ قال: امرأتي وأعز الناس إليَّ، فأخبره بالخبر، فقام على الماء، فلما أمسى أقبل نحو منزله فوجد معها رجلاً، فقتلهما جميعاً[8].

خلٌّ يخون وكلبٌ يصون

*كان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم، وكان شديدُ المحبة لهم، فخرج يوماً في بعض متنزهاته ومعه ندماؤه، فتخلف منهم واحد، فدخل على زوجة الحارث، فأكلا وشرباً ثم اضطجعاً.

---

[1]- الحليلة: الزوجة.
[2]- حيل: منع، والعير: إنسان العين أو جفنها، والنزوان: الخطأ.
[3]- العيسوب: الذكر من النحل، والسنان: الرمح.
[4]- نتأت: برزت.
[5]- عيون الأخبار ج٤ ص١١٨، وأخبار النساء ص١٣٤-١٣٥.
[6]- راث خبرك: أبطأ.
[7]- حص أثرك: قطع.
[8]- المرجع السابق ج٤ ص١٢١.

فوثب الكلب عليهما فقتلهما. فلمَّا رجع الحارث إلي منزله، ووجدهما قتيلــين، عرف الأمر، فأنشأ يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني	ويحفظ عرسي والخليل يخون
فيا عجباً للخلّ يهتك حرمتي	ويا عجباً للكلب كيف يصون؟!

ما أشبه الراكب بالقائد

*وحكى عن بعض أبناء التجار، أنه كان في بعض أسفاره راكباً على بعيره يقوده غلام أسود، فمر بهؤلاء، القبيلة، فنظر إليه واحد منهم وقال: ما أشبه الراكــب بالقائد، قال ولد التاجر: فوقع في نفسي من ذلك شيء، فلما رجعت إلي أمي ذكرت لها القصة، فقالت: يا ولدى إن أباك كان شيخاً كبيراً ذا مال وليس له ولــد، فخــشيت أن يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك، ولولا أن هذا شئ ستعلمه غداً في الدار الآخرة لما أعلمتك به في الدنيا[١].

وشرَّ مُصافي خلّةٍ مَنْ يخونها

*خرج شامة بن لؤي من مكة حتى نزل بعمان على رجل من قبيلــة الأزد. وكان شامة بن لؤي من أجمل خلق الله، فقراه[٢] وبات عنده. فلما أصبح قعــد يــستن[٣] فنظرت إليه زوجة الأزدي فأعجبها، فلما رمى[٤] مضت إلي سواكه[٥]. فأخذتها فمصتها، فنظر إليها زوجها، فحلب ناقة وجعل في اللبن سما، وقدمه إلي شامة، فغمزته المرأة، فأراق اللبن وخرج يسير. فبينما هو في موضع يُقال له خرق الجميلة أهوت ناقته في عرفجة[٦]، فانتشلها وفيها أفعى فنهشت مشفريها فحكتها على ساق شامة فمات. فقالــت الأزد:

---

[١]- المستطرف ج٢ ص ١٣٧.

[٢]- قراه: أضافه.

[٣]- يستن: ينظف أسنانه.

[٤]- أي رمى سواكه.

٥- السواك: عود تنظف به الأسنان.

[٦]- العرفجة: من العرفج، وهو نبات طيب الريح أغبر إلي الخضرة، لها قضبان كثيرة دقاق.

إذا ناقتي حلّت بليل ففارقت	جميلة لما انبت منها قرينها[1]
فقلت لها حِثي قليلاً فإنني	وإياك نخفي عبرة ستزينها[2]
غدرت بنا بعد الصَّفاء وخِنْتنا	وشرٌ مُصافي خلّة من يخونُها[3]

وصلٌ وإباء

*تزوَّج عبد الله بن يزيد الحنفي امرأة حسناء، وكان رجلاً ثقيلاً جسيماً ظريف، فأحبها حباً شديداً، وكان من أشد الناس غيرة. فدعاه حبه لها، وشدة غيرته عليها، أن خرج بها إلي بعض البوادي فابتنى لها قصراً وسكن به وأقام معها مدة وخرج عمر بن سعيد العبدي يريد سفراً له، فأخذته السماء في بعض الطريق فنظر، فإذا هو بقصر عظيم، فعدل إليه، وقرع بابه، فخرج إليه عبد الله بن يزيد فعرفه، فسلَّم عليه وأنزله، وهيَّأ له طعاماً ثم دعا بشراب من خمر عتيق. فبينما هما يشربان إذ تطلعت المرأة فرأت ابن سعيد وكان غلاماً شاباً، وسكر زوجها سكراً شديداً فخرجت المرأة إلي عمرو بن سعيد فحدثته وآنسته ودعته إلي نفسها فأبى، وقال:

ما كنت بالذي أفعل برجل أتاني منزله. ولم يزل يدافعها[4] حتى أفاق عبد الله بن يزيد من سكره، فأنشأ عمرو يقول:

ربّ بيضاء خصرها يتثنى	قد دعتني لوصلها فأبيتُ[5]
لم يكن شأني العفاف ولكن	كنت ندمان زوجها فاستحيت

فعلم عبد الله بن يزيد ما أراد، فلمّا انصرف عمرو بن سعيد عَمِدَ عبد الله إلي المرأة فجعل في عنقها حبلاً وعلقها به إلي السقف، فاضطربت حتى ماتت. وعلم أن النساء لا حفظ لهن، وإلي على نفسه أن لا يتزوج امرأة أبداً. وترك قصره وعاد إلي

---

[1]- انبت: انقطع، والقرين: الصاحب.

[2]- حثي: أي أسرعي.

[3]- أخبار النساء ص٢٥.

[4]- يدافعها: يمتنع عنها.

[5]- يتثنى: يتحرك ويميل.

منزله[1].

الأميرة وورقة الآس١

*وورد في أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكاً بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة سابور ذي الأكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقاً كثيراً.

ثم إنَّ سابور جمع جيوشاً وسار إلي الضيزن فأقام على الحسن أربع سنين لا يصل منه إلي شيء. ثم إن النضيرة بنت الضيزن عركت - أي حاضت - فخرجت من الربض وكانت من أجمل أهل دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن.

وكان سابور من أجمل أهل زمانه فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت إليه تقول: ما تجعل لي إن دللتك على ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي؟ فقال: أحكمك، فقالت: عليك بحمامة مطوقة ورقاء فاكتب عليها بحيض جارية ثم أطلقها فإنها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسماً لا يهدمها إلا هو.

ففعل ذلك فقالت له: وأنا أسقي الحرس الخمر فإذا صرعوا فاقتلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها، فلمَّا دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هو ورقة آس التصقت بعكنتها[2] وأثرت فيها.

وقيل كان يُنظر إلي مخ عظمها من صفاء بشرتها، ثم إنَّ سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها. قيل إنه أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعاً، قطعه الله ما أغدره[3].

الأميرة وورقة الآس٢

---

[1] - المرجع السابق ص١٠٨-١٠٩.

[2] - الآس: الريحان، نبت طيب الرائحة، كان عنوان النصر عند قدماء اليونان. وعكنتها: جمع عكنة وهي الأطواء في البطن من السمن، وجارية عكناء: أي ذات عُكن، ويقال تعكن الشيء إذا رُكم بعضه على بعض وانثنى.

[3] - المستطرف ج١ ص٣٣١.

*وروى ابن قتيبة في كتابه "عيون الأخبار" نفس القصة عن أردشير فقال:

قرأت في سير العجم أن أردشير سار إلي الحضر، وكان ملك السواد[1] متحصناً فيها. فحاصره فيها زماناً لا يجد إليه سبيلاً، حتى رقيت[2] ابنة الملك يوماً، فرأت أردشير فعشقته. وأخذت نشابه[3] وكتبت عليها:

"إن أنت شرطت لي أن تتزوجني، دللتك على موضع تفتتح منه هذه المدينة بأيسر حيلة وأخف مؤونة".

ثم رمت بالنُشابة نحو أردشير. فكتب الجواب في نُشابة:

لك الوفاء بما سألتِ.

ثم ألقاها إليها. فكتبت إليه تدله على الموضع، فأرسل إليه أردشير فافتتحه، ودخل هو وجنوده، وأهل المدينة غافلون، فقتل ملكها وتزوجها.

فبينما هي ذات ليلة على فراشه، أنكرت مكانها[4] حتى سهرت لذلك عامة ليلتها. فنظروا في الفراش فوجدوا تحت الحشية ورقة من ورق الآس[5] قد أثرت في جلدها. فسألها أردشير عند ذلك عما كان أبوها يغذوها به، فقالت:

كان غذائي الشهد والزبد والمخ.

فقال أردشير:

ما أحد يبالغ لك في الحِباء والإكرام مبلغ أبيك. ولئن كان جزاؤه عندك على جهد إحسانه مع لطف قرابته وعظم حقه جهد إساءتك، ما أنا بآمن لمثله منك.

ثم أمر بأن تُعقد قرونها بذنب فرس شديد المراح جموح، ثم يجرى ففعل ذلك حتى تساقطت عضواً عضواً.

ميلي به يا جعار!

---

[1]- السواد: الريف والقرى.

[2]- رقيت القصر: صعدت إلي سطحه.

[3]- نشابه: سهم.

[4]- أنكرت مكانها: أي أنها استخشنته وأرقت بسببه.

[5]- الآس: الريحان، نبت طيب الرائحة، كان عنوان النصر عند قدماء اليونان.

*(في يوم جدود) غزا الحوفزان، وهو الحارث بن شريك، فأغار على من بالقاعة من بني سعد بن زيد مناة؛ فأخذ نعماً كثيراً، وسبى فيهن الزرقاء من بني ربيع بن الحارث، فأعجب بها وأعجبت به، وكانت خرقاء، فلم يتمالك أن وقع بها، فلما انتهى إلي جدود، منعتهم بنو يربوع أن يردوا الماء، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب، فقاتلوهم، فلم يكن لبني بكر بهم يد، فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم، على أن يخلوهم أن يردوا الماء، فقبلوا ذلك وأجازوهم، فبلغ ذلك بني سعد، فقال قيس بن عاصم في ذلك:

جزي الله يربوعاً بأسوأ سعْيها إذا ذكرت في النائبات أمورُها

ويومَ جدود قد فضحتم أباكمُ وسالمتم والخيل تدمى نحورُها

فأجابه مالك:

سأسأل من لاقى فوارس منقذ رقاب إماء كيف كان نكيرها

ولمّا أتى الصريخ بني سعد، ركب قيس بن عاصم في أثر القوم حتى أدركهم بالأشيمين، فألح قيس على الحوفزان وقد حمل الزرقاء، وكان الحوفزان قد خرج في طليعة، فلقيه قيس بن عاصم فسأله من هو، فقال: لا تكاتم[1] اليوم، أنا الحوفزان، فمن أنت؟ قال: أنا أبو علي، ومضى، ورجع الحوفزان إلي أصحابه، فقال: لقيت رجلاً أزرق كأن لحيته ضريبة صوف فقال: أنا أبو علي. فقالت عجوز من السبي: بأبي أبو علي! ومن لنا بأبي علي؟ فقال لها: ومن أبو علي؟ قالت: قيس بن عاصم! فقال لأصحابه: النجاء! وأردف الزرقاء خلفه وهو على فرسه الزبد، وعقد شعرها إلى صدره ونجا بها. وكانت فرس قيس إذا أوعثت[2] قصرت وتمطر عليها الزبد فلما أجدت لحقت بحيث يكلم الحوفزان، فقال قيس له: يا أبا حمار، أنا خير لك من الفلاة والعش! قال له الحوفزان: ما شاء الزَّبد. فلما رأى قيس أن فرسه لا يلحقه، نادى الزرقاء فقال: ميلي به يا جعار[3]! فلما سمعه الحوفزان، دفعها بمرفقه وجز قرونها بسيفه، فألقاها عن

---

[1]- لا تكاتم: أي لا أسرار.

[2]- أوعثت: وقعت في الطريق الغليظ العسر السلوك.

[3]- يا جعار: مسبة عند العرب ومثلها يا زانية.

عجز فرسه، وخاف قيس أن لا يلحقه فنجله بالرمح في خُرابة وركه، فلم يقصده[1] وعرج منها ورد قيس الزرقاء إلي بني الربيع، فقال سوار بن حيان المنقري:

ونحن حفرنا الحوفزان بطعنة   تَمُجُّ نجيعاً من دم الجوْفَ أشكلاً[2]

إنّ في نفس النوار شيئا

*كانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضيته، وكان وليها غائباً، وكان الفرزدق وليَّها إلا أنه كان أبعد من الغائب، فجعلت أمرها إلي الفرزدق، وأشهدت له بالتفويض إليه، فلما توثق منها بالشهود، أشهدهم أنه قد زوجها من نفسه! فأبت منه ونافرته إلي عبد الله بن الزبير، فنزل الفرزدق على حمزة ابن عبد الله (ابن الزبير)، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير، وهي بنت منظور بن زبان، فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهاراً أفسدته المرأة ليلاً، حتى غلبت المرأة وقضى ابن الزبير على الفرزدق، فقال:

أمّا البنونُ فلم تقبل شفاعتهم   وشفعت بنت منظور بن زَبَّاناً
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزراً   مثل الشفيع الذي يأتيك عُرباناً

وقال الفرزدق في مجلس ابن الزبير:

وما خاصم الأقوام من ذي خصومة   كورهاء مدنُو إليها خليلُها[3]
فدونكها يا ابن الزبير فإنها   مُلَعَّنةٌ يُوهي الحجارة قيلُها[4]

فقال ابن الزبير: إنَّ هذا شاعر، وسيهجوني، فإن شئت ضربت عنقه وإن كرهت ذلك، فاختاري نكاحه وقرِّي. فقرت واختارت نكاحه، ومكثت عنده زماناً، ثم طلقها وندم في طلاقها.

وقال راوية الفرزدق: قال لي الفرزدق يوماً: امضِ بنا إلي حلقة الحسن، فإني أريد أن أطلق النوار! فقلت له: إني أخاف أن تتبعها نفسك، ويشهد عليك الحسن

---

[1]- لم يقصده: لم يصبه.

[2]- أخبار النساء في العقد الفريد ص ٩٢- ٩٣.

[3]- الورهاء: الحمقاء. ويُقال: ورهت المرأة: أي كثر شحمها.

[4]- قيلها: بغضها.

وأصحابه. قال: انهض بنا. فجئنا حتى وقفنا على الحسن، فقال الفرزدق: كيف اصبحت أبا سعيد ؟ قال: بخير، كيف أصبحت يا أبا فراس؟ فقال: تعلمن أني طلقت النوار ثلاثاً! قال الحسن وأصحابه: قد سمعنا! فانطلقنا، فقال لي الفرزدق: يا هذا، إن في نفسي من النوار شيئاً! فقلت: حذرتك! فقال:

ندمتُ ندامة الكُسعيّ لما	غدت مني مطلقة نوارُ[1]
وكانت جنتي فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضِّرارُ
ولو أني ملكت بها يميني	لكان على للقدر الخيارُ[2]

العفو أقرب للتقوى!

*غريبٌ أمر الرجال.. يرى الرجل غدر المرأة ظاهراً بيناً فيعفو ويصفح. أه! أتراه الحب الذي يرقق القلوب ويلين الجانب للمحبوب أم هو ذكاء الأنثى وطبيعتها التي تمكنها من مس شغاف قلوب الرجال باستكانة وتنهيدة.

هذه "عَرِيب" مولاة إسماعيل المراكبي.. امرأة ينطبق عليها هذا الكلام، منحها الله تعالي ملكة حفظ الأشعار فصارت بها راوية، وحسن الصوت فصارت به مغنية بل ومبتكرة للألحان، وكذلك من الله تعالي عليها بشخصية مبهرة، جعلتها تحافظ على شخصيتها كنعمة إلهية، وتعتز بأصلها كبرمكية، إذ يقال أن أمها فاطمة جارية أم عبد الله بن يحيى بن خالد البرمكي ووالدها جعفر البرمكي الذي عهد بها إلي مربية باعتها إلي "سنبس" تاجر الرقيق الذي باعها لإسماعيل المراكبي. كل هذا جعل مولاها المراكبي يتضاءل شخصه بجانبها، ولا يلقى من الترحيب في مجالس الطرب والغناء غير النزر اليسير، فلا يغار ولا يثور، ويصفح مجبراً عن مغامراتها مع غرمائه من القادة الخراسانيين، كحاتم بن عدي، ومحمد الخشن، والخلفاء العباسيين كالأمين والمأمون والمعتز والمعتصم والواثق من الأمراء أبو عيسى بن الرشيد، ومن الوزراء والشعراء صالح المنذري وابن المدبر، فكم مرة هربت من مولاها المراكبي مع

---

[1]- الكسعي: رجل طلق امرأته ثم ندم على طلاقها فتبعتها نفسه.

[2]- المرجع السابق ص ٢٢٢-٢٢٣.

عشاقها، ولم تكن لتعود إلا مسوقة إليه جبراً، فيضربها بالسوط وتتحداه أن يبيعها فيلين جانبه مستعطفاً إياها ومقبلاً رأسها ويديها، ويهب لها آلاف الـدراهم حتـى تـصفح وترضى عنه حتى ولو إلي حين.

وفي إحدى هذه المرات، هربت "عريب" مع القائد الشاب محمد الخشن، الذي كانت أحبته من أعماق قلبها، وكان هربها مع "مظلومة" تلك الجارية التـي وضـعها المراكبي وصيفة لها وعيناً عليها تراقبها، فرفع المراكبي شكواه إلي الخليفة المأمون بعد أن رفض القائد الخشن ردهما إليه، فأرسل المأمون بمن يأتي بالخشن مقيداً، وأمر بجلده بالسياط عرياناً إلي أن تظهر "عريب" فجاءت من فورها ممتطية حماراً، وقالت: لماذا تعاقبون فارسي؟ عذبوني بدلاً منه، إنني لا أريد المراكبي، فليبعني إن كان حقاً يمتلكني؟ فأمر المأمون بالعفو عن القائد محمد الخشن، وابتاع "عريب" مـن مولاهـا المراكبي بخمسين ألف درهم، ووقعت من قلبه موقعاً كبيراً حتى أنه لم يكن يناديها إلا بالمأمونية.

وذات مرة، اندفعت عريب تغنى دون إذن المأمون فأمرها بالإمساك عن الغناء ثم قال للحاضرين: من فيكم أومأ إلي عريب بقبلة؟ والله لئن لم يـصدقني لأضـربن عنقه.

فنهض الخشن واقفاً وقال: أنا يا أمير المؤمنين! العفو أقرب للتقـوى فقـال المأمون: اجلس، عفوناً عنك، وإياك أن تفعل هذا ثانية.

ولمَّا تولى الخليفة المعتصم الخلافة، لم يشتر من جواري المأمون إلا "عريب" فدفع مائة ألف درهم ثمناً لها ثم أعتقها. ومع ذلك لم تحفظ له العهد، فقد وقع في يـده رسالة بخط يدها إلي العباسي بن المأمون وهو في ميدان الحرب ببلاد الروم، كتبـت فيه: " اقتل أنت العلج وهو في ميدان الحرب معك، حتى أقتل أنا الأعور الليلي ها هنا ". وسواء كانت تقصد بالعلج المعتصم نفسه أم عنت بالأعور الليلي الواثق الذي بقـي ببغداد، فإن أحداً لم يمسها بالسوء. وظلت "عريب" على قيد الحيـاة إلـي أن طالهـا الموت.


الباب السادس
كيد النساء

أبيض

*قال حكيم: النساء شرٌّ كلهن، وشر ما فيهن قلة الاستغناء عــنهن. وقالــت الحكماء: لا تثق بامرأة، ولا تغتر بمال وإنْ كثر. وقال: النساء حبائل الشيطان[1].

*قال الشاعر:

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن	جزوعاً إذا بانت فسوف تبين[2]
وخنها إن كانت تفي لك إنها	على قدم الأيام سوف تخون
وإن هي أعطتك الليان فإنها	لغيرك من طلابها ستلين
وإن حلفت أن ليس تنقض عهدها	فليس لمخضوب البنان يمين
وإن سكبت يوم الفراق دموعها	فليس لعمر الله ذاك يقين[3]

عظَّم الله أجرك!

*جاء في كتاب "ألف ليلة وليلة" على لسان وزير الملك قال:

بلغني أيها الملك أن امرأة من بنات التجار كان لها زوج كثير الأسفار فسافر زوجها إلي بلاد بعيدة وأطال الغيبة فزاد عليها الحال فعشقت غلاماً ظريفاً مــن أولاد التجار وكانت تحبه ويحبها محبة عظيمة، ففي بعض الأيام تنازع الغلام مع رجل فشكا الرجل إلى والى تلك البلد فسجنه فبلغ خبره زوجة التاجر معشوقته فطار عقلها عليه.

فقامت ولبست أفخر ملبوسها ومضت إلي منزل الوالي فسلمت عليه ودفعت له ورقة تذكر فيها أن الذي سجنته وحبسته هو أخي فلان الذي تنازع مع فلان، والجماعة الذين شهدوا عليه قد شهدوا باطلاً وقد سجن في سجنك وهو مظلوم وليس عندي مــن يدخل على ويقوم بحالي غيره وأسأل من فضل مولانا إطلاقه من السجن.

فلمَّا قرأ الوالي الورقة ثم نظر إليها فعشقها وقال لها ادخلي المنزل حتــى

---

[1]- المستطرف ج٢ ص٣٥٤-٣٥٥.

[2]- البين: الفراق.

[3]- العقد الفريد ج٧ ص١١٩.

أحضره بين يدي ثم أرسل إليك فتأخذينه، فقالت له يا مولانا ليس لي أحد إلا الله تعالي وأنا امرأة غريبة لا أقدر على دخول منزل أحد، فقال لها الوالي لا أطلقه لك حتى تدخلي المنزل وأقضي حاجتي، فقالت له وأين منزلك فقالت له في الموضع الفلاني ثم خرجت من عنده وقد اشتعل قلب الوالي.

فلما خرجت دخلت على قاضي البلد وقالت له: يا سيدنا القاضي انظر في أمري وأجرك على الله، فقال لها من ظلمك قالت يا سيدي لي أخ وليس لي أحد غيره وهو الذي كلفني الخروج إليك لأن الوالي قد سجنه وشهدوا عليه بالباطل انه ظالم وإنما اطلب منك أن تشفع لي عند الوالي. فلمَّا نظرها القاضي عشقها فقال لها: ادخلي المنزل عند الجواري واستريحي معنا ساعة ونحن نرسل إلي الوالي بأن يطلق أخاك ولو كنا نعرف الدراهم التي عليه كنا دفعناها من عندنا لأجل قضاء حاجتنا لأنك أعجبتينا من حسن كلامك، فقالت له: إذا كنت أنت يا مولانا تفعل ذلك فما نلوم الغير، فقال لها القاضي: إن لم تدخلي منزلنا فاخرجي إلي حال سبيلك، فقالت له: إنْ أردت ذلك يا مولانا فيكون عندي في منزلي أستر وأحسن من منزلك فإن فيه الجواري والخدم والداخل والخارج وأنا امرأة ما أعرف شيئاً من هذا الأمر لكن الضرورة تحوج فقال لها القاضي وأين منزلك فقالت له في الموضع الفلاني وواعدته على اليوم الذي وعدت فيه الوالي.

ثم خرجت من عند القاضي إلي منزل الوزير فرفعت إليه قصتها وشكت إليه ضرورة أخيها وانه سجنه الوالي فراودها الوزير عن نفسها، فقال لها: نقضي حاجتنا منك ونطلق لك أخاك، فقالت له: إنْ أردت ذلك فيكون عندي في منزلي فإنه أستر لي ولك لأن المنزل ليس بعيداً وأنت تعرف ما نحتاج إليه من النظافة والظرافة، فقال لها الوزير: وأين منزلك؟ فقالت له: في الموضع الفلاني وواعدته اليوم.

ثم خرجت من عنده إلي ملك تلك المدينة ورفعت إليه قصتها وسألته إطلاق أخيها فقال لها من حبسه، قالت له: حبسه الوالي. فلمَّا سمع الملك كلامها رشقته بسهام العشق في قلبه، فأمرها أن تدخل معه القصر حتى يرسل إلى الوالي ويخلص أخاها فقالت له: يا أيها الملك، هذا أمر يسهل عليك إما باختياري، وإما قهراً عني، فإن كان الملك أراد ذلك مني فإنه من سعد حظي ولكن إذا جاء إلي منزلي يشرفني بنقل خطواته الكرام فقال لها الملك لا نخالف لك أمر.

فواعدته في اليوم الذي واعدت فيه الوالي والقاضي والوزير ثم إنها عرفتــه بيتها ثم خرجت من عنده فجاءت إلي رجل نجار. وقالت له: أريد منك أن تصنع لــي خزانة بأربع طبقات بعضها فوق بعض كل طبقة بباب يقفل عليها، وأخبرنـــي بقــدر أجرتك فأعطيك، فقال لها: أربعة دنانير وإن أنعمت عليَّ أيتهــا الــسيدة المــصونة بالوصال فهو الذي أريد ولا أخذ منك شيئاً، فقالت له: إن كان ولا بد فاعمل لي خمس طبقات بأقفالها فقال حباً وكرامة وأوعدته أن يحضر لها الخزانة في ذلك اليوم بعينه، فقال لها النجار: يا سيدتي اقعدي حتى تأخذي حاجتك في هذه الساعة وأنا بعد ذلــك أجيء على مهلي فقعدت عنده حي عمل لها الخزانة بخمس طبقات وانــصرفت إلــي منزلها فوضعتها في المحل الذي فيه الجلوس، ثم إنها أخذت أربعة ثياب وحملتها إلي الصباغ، فصبغ كل ثوب لوناً وكل لون خلاف الآخر ما قبلت على تجهيز المــأكول والمشروب والزهور والفواكه والعطور.

فلمَّا جاء يوم الميعاد لبست أفخر الملابس وتزينت وتطيبت، ثم فرشت المجلس بأنواع الفاخرة وقعدت تنتظر من يأتي، وإذا بالقاضي دخل عليها قبل الجماعة فلمــا وأحد قامت واقفة على قدميها وقبّلت الأرض بين يديه وأخذته وأجلسته علــى ذلــك الفراش وجلست معه ولاعبته، فقالت له: يا سيدي، اخلع ثيابك وعمامتك والبس هــذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى تتنــاول المــأكول والمــشروب، فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع، وإذا بطارق يطرق البــاب فقــال لهــا القاضي: مَنْ هذا الذي يطرق الباب؟ فقالت له: هذا زوجي، فقال لها: وكيف العمــل وأين أذهب أنا؟ فقالت له: لا تخف فإني أدخلك هذه الخزانة. فقال لها: افعلي ما بــدا لك، فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة السفلي وقفلت عليه.

ثم أنها خرجت إلي الباب وفتحته وإذا هو الوالي، فلمَّا رأته قبّلت الأرض بين يديه وأخذته بيدها وأجلسته على ذلك الفراش، وقالت لــه: يــا ســيدي إن الموضــع موضعك والمحل محلك وأنا جاريتك ومن بعض خدامك وأنت تقيم هذا النهار عنــدي فاخلع ما عليك من الملبوس والبس هذا الثوب الأحمر فإنه ثوب النوم، وقد جعلت على رأسه شيئاً من خرقة كانت عندها. فلما أخذت ثيابه أتت إليه ولاعبته ولا عبها فلما مدَّ يده إليها قالت: يا مولانا هذا النهار نهارك وما أحد يشاركك فيه ولكن مــن فــضلك

وإحسانك تكتب لي ورقة بإطلاق أخي من السجن، حتى يطمئن خاطري، فقال لهـا: السمع والطاعة على الرأس والعين، وكتب كتاباً إلي خازنداره[1] يقول فيه ساعة وصول هذه المكاتبة إليك تطلق فلاناً من غير إمهال ولا إهمال ولا ترجع حاملها بكلمـة ثـم ختمها وأخذتها منه ثم أقبلت تلاعبه وإذا بطارق بطرق الباب فقال لها: مَنْ هذا؟ قالت: زوجي، قال: كيف أعمل؟ فقالت له: ادخل هذه الخزانة حتى أصرفه وأعـود إليـك، فأخذته وأدخلته في الطبقة الثانية وقفلت عليه كل هذا والقاضي يسمع كلامها.

ثم خرجت إلي الباب وفتحته وإذا هو الوزير قد أقبل، فلما رأته قبّلت الأرض بين يديه وتلقته وخدمته وقالت له يا سيدي: لقد شرفتنا بقدومك في منزلنا، يا مولانـا! فلا أعدمنا الله هذه الطلعة، ثم أجلسته على البسط، وقالت له: اخلع ثيابـك وعمامتـك والبس هذه الثياب المريحة، فخلع ما كان عليه وألبسته غلالة زرقاء وطرطور أحمر، وقالت له: يا مولانا، اخلع ما عليك من ثياب الوزارة فخلعها لوقتها وأما هذه الـساعة فهذه ثياب المنادمة والبسط والنوم فلما لبسها الوزير لاعبته ولاعبها، وهو يريد قضاء الحاجة وهي تمنعه وتقول له: يا سيدي هذا ما يفوتنا. فبينما في الكـلام وإذا بطـارق يطرق الباب، فقال لها: مَنْ هذا؟ فقالت له: زوجي، فقال لها: كيف التدبير؟ فقالت له: قم وادخل هذه الخزانة حتى اصرف زوجي وأعود إليك ولا تخف، ثم إنهـا أدخلتـه الطبقة الثالثة وقفلت عليه وخرجت ففتحت الباب وإذا هو الملك دخل، فلمَّا رأته قبّلت الأرض بين يديه وأخذت بيده وأدخلته في صدر المكان وأجلسته على البسط وقالت له: شرفتنا أيها الملك ولو قدمنا لك الدنيا وما فيها ما تساوي خطورة من خطواتك إلينـا، أيها الملك العظيم، فانفرجت أسارير الملك، فلمّا جلس على البسط قالت له: يا مولاي أعطني إذناً حتى أكلمك كلمة واحدة فقال لها: لا تخجلي، فقالت: له استرح يا سـيدي واخلع ثيابك وعمامتك وكانت ثيابه في ذلك الوقت تساوي آلف دينار، فلمـا خلعهـا ألبسته ثوباً ردياً قيمته عشرة دراهم بلا زيادة وأقبلت تؤانسه وتلاعبـه، هـذا كلـه والجماعة الذين في الخزانة يسمعون ما يحدث بينهما ولا يقدر أحد أن يتكلم، فلما مد الملك يده إلي عنقها، قالت له: هذا الأمر لا يفوتنا وقد كنت قبل الآن وعدت حضرتك

---

[1]- الخازندار: رئيس الشرطة.

بهذا المجلس فلك عندي ما يسرك، فبينما هما يتحدثان وإذا بطارق يطرق الباب فقال لها: مَنْ هذا؟ قالت له: زوجي. فقال لها: اصرفيه عنا كرماً منه وإلا فاطلع، فقال لها: وكيف أفعل أنا؟ فأخذته من يده وأدخلته في الطبقة الرابعة وقفلت عليه، ثم خرجت إلي الباب ففتحته وإذا هو النجار.

فلمَّا دخل وسلَّم عليها قالت له: أي شئ هذه الخزائن التي عملتها؟ فقال لها: ما لها يا سيدتي؟ فقالت له: إن هذه الطبقة ضيقة. فقال لها: هذه واسعة، فقالت له: ادخل وأنظرها فإنها لا تسعك، فقال لها: هذه تسع أربعة، ثم دخل النجار، فلما دخل قفلت عليه الطبقة الخامسة، ثم أنها قامت وأخذت ورقة الوالي ومضت بها إلي الخازندار، فلمَّا أخذها وقرأها قبَّلها وأطلق لها الرجل عشيقها من الحبس فأخبرته بما فعلته فقال لها: وكيف تفعلي؟ قالت له: نخرج من هذه المدينة إلي مدينة أخرى وليس لنا بعد هذا الفعل إقامة هنا ثم جهزا ما كان عندهما وحملاه على الجمال وسافرا من ساعتهما إلي مدينة أخرى.

وأمّا القوم فإنهم أقاموا في طبقات الخزانة ثلاثة أيام بلا أكل، فتعبوا لأن لهم ثلاثة أيام لم يبولوا، فبال النجار على رأس السلطان، وبال السلطان على رأس الوزير، وبال الوزير على رأس الوالي، وبال الوالي على رأس القاضي، فصاح القاضي وقال: أي شئ هذه النجاسة، أما يكفينا ما نحن فيه حتى تبولوا علينا، فرفع الوالي صوته وقال: عظَّم الله أجرك أيها القاضي، فلمَّا سمعه عرف أنه الوالي ثم أن الوالي رفع صوته وقال: ما بال هذه النجاسة، فرفع الوزير صوته وقال: عظَّم الله أجرك أيها الوالي، فلمّا سمعه الوالي عرف انه الوزير، ثم إن الوزير رفع صوته وقال: ما بال هذه النجاسة، فرفع الملك صوته وقال: عظَّم الله أجرك أيها الوزير، ثم أن الملك لما سمع كلام الوزير عرفه ثم سكت وكتم أمره، ثم إن الوزير قال: لعن الله هذه المرأة بما فعلت معنا أحضرت أرباب الدولة عندها ما عدا الملك، فلمَّا سمعهم الملك قال لهم: اسكتوا فأنا أوّل من وقع في شبكة هذه المرأة الفاجرة، فلمَّا سمع النجار قولهم قال لهم: وأنا أي شئ ذنبي قد عملت لها خزانة بأربعة دنانير ذهباً وجئت أطلب الأجرة فاحتالت عليَّ وأدخلتني هذه الطبقة وقفلتها عليَّ ثم إنهم صاروا يتحدثون مع بعضهم وسلوا

الملك بالحديث وأزالوا ما عنده من الانقباض.

فجاء جيران ذلك المنزل فرأوه خالياً فقال بعضهم لبعض بالأمس كانت جارتنا زوجة فلان فيه، والآن لم نسمع في هذا الموضع صوت أحد ولا نري فيه إنسياً، فاكسروا هذه الثياب وانظروا حقيقة الأمر لئلا يسمع الوالي أو الملك فيسجننا فنكون نادمين علي أمر لم نفعله قبل ذلك، ثم أن الجيران كسروا الأبواب ودخلوا فرأوا خزانة من خشب ووجدوا فيها رجالاً تئن من الجوع والعطش فقالوا لبعضهم: هل الجان في هذه الخزانة فقال واحد منهم نجمع لها حطبا ونحرقها بالنار فصاح عليهم القاضي وقال: لا تفعلوا.

فقالوا لبعضهم: إنَّ الجن يتصورون ويتكلمون، فلمَّا سمعهم القاضي قرأ شيئاً من القرآن العظيم ثم قال الجيران: ادنوا من الخزانة التي نحن فيها، فلما دنوا منها قال لهم: وأنتم فلان وفلان ونحن هنا جماعة، فقال الجيران للقاضي: ومَنْ جاء بك هنا فعلمنا بالخبر، فأعلمهم بالخبر من أوله إلي آخره، فاحضروا لهم نجاراً نفتح للقاضي خزانته وكذلك الوالي والوزير والملك والنجار وكل منهم بالملبوس الذي عليه.

فلما طلعوا نظر بعضهم لبعض وصار كل منهم يضحك على الآخر ثم انهم خرجوا وطلبوا المرأة فلم يقفوا على خبر وقد أخذت جميع ما كان عليهم فأرسل كل منهم إلي جماعته يطلب ثياباً، فأحضروا لهم ملابسهم ثم خرجوا على الناس، فانظر يا مولانا الملك هذه المكيدة التي فعلتها هذه المرأة مع هؤلاء القوم.

اسأل الببغاء

*وبلغني أيها الملك أيضاً أن تاجراً كان كثير الأسفار وكانت له زوجة جميلة يحبها ويغار عليها من كثرة المحبة فاشتري لها ببغاء فكانت الببغاء تعلِّم سيدها بما يجري في غيبته.

فلما كان في بعض أسفاره تعلقت امرأة التاجر بغلام كان يدخل عليها فتكرمه وتواصله مدة غياب زوجها، فلما قدم زوجها من سفره وأعلمته الببغاء بما جرى وقالت له يا سيدي تركي كان يدخل على زوجتك في غيابك فتكرمه غاية الإكرام فهم الرجل بقتل زوجته.

فلما سمعت ذلك قالت له: يا رجل اتق الله وارجع إلي عقلك هل يكون لطيــر عقل أو فهم وإن أردت أن أبين لك ذلك لتعرف كذبها من صدقها فامض هذه الليلة ونم عند بعض أصدقائك، فإذا أصبحت فتعال لها واسألها حتى تعلم هل تصدق هي فيمــا تقول أو تكذب. فقام الرجل وذهب إلي بعض أصدقائه فبات عنده.

فلمّا كان الليل عمدت زوجة الرجل إلي قطعة قماش غطت به قفص الببغــاء وجعلت ترش على ذلك القماش شيئاً من الماء وتروّح عليه بمروحة وتقــرب إليهــا السراج على لمعان البرق وصارت تدير الرحى إلي أن أصبح الصباح.

فلمّا جاء زوجها قالت له يا مولاي أسأل الببغاء. فجاء زوجها إلــي الببغــاء يحدثها ويسألها عن ليلتها الماضية، فقالت له الببغاء: يا سيدي ومن كان ينظر أو يسمع في الليلة الماضية، فقال لها: لأي شئ؟ فقالت: يا سيدي من كثــرة المطــر والــريح والرعد والبرق، فقال لها: كذبت! إن الليلة التي مضت ما كان فيها شئ مــن ذلــك، فقالت الببغاء: ما أخبرتك إلا بما عاينت وشاهدت وسمعت، فكذبها في جميع ما قالتــه عن زوجته وأراد أن يصالح زوجته، فقالت: والله ما أصطلح حتى تذبح هذه الببغــاء التي كذبت عليّ، فقام الرجل إلي الببغاء وذبحها، ثم أقام بعد ذلك مع زوجته مدة أيام قلائل، ثم رأي في بعض الأيام ذلك الغلام التركي وهو خارج من بيته، فعلم صــدق قول الببغاء وكذب زوجته، فندم على ذبح الببغاء ودخل من وقته وساعته على زوجته وذبحها، وأقسم على نفسه أنه لا يتزوج بعدها امرأة مدة حياته، وما أعلمتك أيها الملك إلا لتعلم أن كيدهن عظيم.

عفة الهاشميين

*قال عُوانة بن الحكم: كان عبد المطلب[1] لا يسافر إلا ومعه ابنه الحــارث، وكان أكبر ولده، وكان شبيهاً به جمالاً وحسناً، فأتى اليمن وكان جالس عظيمــاً مــن عظمائهم، فقال له: لو أمرت ابنك هذا يجالسني وينادمني، ففعــل، فعــشقت امرأتــه الحارث، فراسلته فأبى عليها، فألحت عليه، فأخبر بذلك أباه، فلما يئست منه سقته سم

---

[1]– هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث، زعيم قريش في الجاهلية . وهــو جــد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شهر، فارتحل به عبد المطلب حتى إذا قدم مكة مات الحارث. وذكرها هشام بن محمد بن اسائب الكلبي عن أبيه، وذكر رثاء أبيه له بقصيدته التي فيها:

الحارث الفيّاض أكرم ماجد أيام نازعة الهُمُامُ الكاسا[1]

ولما احتضر أبو سفيان بن الحارث هذا وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قال لأهله: لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطف[2] بخطيئة منذ أسلمت[3].

شبيه يوسف

*قال حصين بن عبد الرحمن: بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يفتقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق، فلما من قالت له: إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي، وكانوا أرغبَ شئ في الخير، فدخل فلم يرَ شاة، فقالت اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلمَّا رأى ذلك عمد إلي محراب في البيت فقعد فيه فأرادته[4] عن نفسه فأبى وقال: اتقي الله أيتها المرأة، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلي قوله، فلمَّا أبى عليها صاحب عليه فجاءوا فقالت: إن هذا دخل عليَّ يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوثقوه، فلما صلى عمر الغداة فقده، فبينا هو كذلك جاءوا به وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني به، قال لكم؟ قالوا: استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضرب وأوثقناه، فقال عمر رضي الله عنه: اصدقني، فأخبره بالقصة على وجهها فقال له عمر رضي الله عنه: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم، إن رأيتها عرفتها فأرسل عمر إلي نساء جيرانها وعجائزهن، فجاء بهن فعرضهن، فلم يعرفها فيهن، حتى مرت به

---

[1]- الرجل الفياض: أي الجواد الكريم، والهمام: الملك العظيم الهمة .

[2]- أتنطف: أتلطخ .

[3]- روضة المحبين ص ٣٣٦.

[4] – أرادته عن نفسه: راودته عن نفسه .

العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عمر عليه الدرة، وقال: أصدقيني، فقصت عليه القصة كما قصَّها الفتى. فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف[1].

الفاتنة والعابد

*يُحكى أن ناسكاً كان يعيش في صومعة على جبل يتاخم مدينة يسكن فيها شقيق له فاضل تقي، مهنته صنع أحذية النساء، وكان من عادة هذا الناسك زيارة أخيه بين الحين والحين.

وكان كلما زار أخاه يحضر له كمية من اللبن يكون قد حلبها من عنزة له يقتنيها بجوار صومعته في الجبل.

وكان لصفاء سريرته وعفافه أن وهبه الله سبحانه وتعالي كرامة، وهى أنه إذا وضع اللبن في كيس من القماش لا ينفذ اللبن السائل من القماش ويبقى سائلاً في الكيس.

وذات يوم كان يزور أخاه كعادته، فلم يجده في مكانه، فجلس ينتظره وكان عندما يصل يعلق الكيس الممتلئ باللبن بمسمار في الجدار، فعلقه وجلس يعد تسبيحاته على مسبحته، وبعد مدة من الزمن حضرت سيدة بارعة الجمال، لها حذاء في الدكان ورجتْ الناسك أن يناولها الحذاء ويساعدها على وضعه في قدميها.

وما كاد الناسك أن يتلمس ساقيها وهو يساعدها على لبس الحذاء حتى سمع صوتا جعله ينظر إلي كيس اللبن، فوجد اللبن يتسرب منه ويتساقط على الأرض، فعلم عندئذ أن كرامته زالت، فارتعب وراح يبكى مولولاً.

وعندما حضر أخوه وعلم بما حدث قال.. آه.. أخي لا بد أنك تدنست، ولم يشفع لك طول تعبدك ولا نسكك، وظني أن الشيطان أغراك فطاوعته، وراودتك نفسك عن أمر أفسد عليك سريرتك ولوث تقواك وطهرك، فوقعت في الشرك فاستغفر ربك إنه كان تواباً.

فردّ عليه الناسك والدموع ملء مآقيه: أنت أفضل مني لأنك ما رست الحياة

---

[1]- روضة المحبين ص ٤٦٢.

وتدربت على مقاومة مغرياتها.

فردّ عليه أخوه قائلاً: إن الفضيلة سلوك، والخطيئة انحراف، وليست الفضيلة أن تتباعد عن ممارسة الحياة، بل الفضيلة أن يخوض الإنسان تجارب الحياة ويتمسك أثناء ذلك بأهداب التقوى.

امرأة الغائب تراود عن نفسها

*عن العتبي قال: سمعت أبي يحدث عن ناس من أهل الشام: أن أخوين كان لأحدهما زوجة، وكان يغيب ويخلفه الآخر في أهله، فهويته امرأة الغائب، فأرادته على نفسها فامتنع، فلما قدم أخوه سألها عن حالها فقالت: ما حال امرأة تراود في كل حين! فقال: أخي وابن أمي! وإني أفضحه! ولكن لله عليَّ ألا أكلمه أبداً، ثم حجَّ وحجَّ أخوه والمرأة، فلمَّا كانوا بوادي الدوم هلك الأخ ودفنوه وقضوا حجهم ورجعوا، فمروا بذلك الوادي ليلاً، فسمعوا هاتفاً يقول:

أجدَّك تمضي الدوم ليلاً ولا ترى ... عليك لأهل الدوم أن تتكلما
وبالدوم ثاوٍ لو ثويت مكانه ... ومر بوادي الدوم حيّاً لسلما[1]

فظنت المرأة أن النداء من السماء، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ كان من أخيك ومني كيت وكيت، فقال: والله لو حلّ قتلك لوجدتني سريعاً، ففارقها وضرب خيمة على قبر أخيه وقال:

هجرتك في طول الحياة وأبتغي ... كلامَك لما صِرتَ رمساً وأعظُما[2]
ذكرت ذنوباً فيك كنت اجترمتها ... أنا منك فيها كنت أسوا وأظلماً

ولم يزل مقيماً حتى مات ودُفن بجنب أخيه، فالقبران معروفان[3].

إلى المساءة دعوتني!

*قال أحمد بن يحي: كان مرثد عم عمرو بن قمية الشاعر، عنده امرأة جميلة، وكان قد كبر، وكان يجمع بني أخيه وبني عمه في منزله للغداء كل يوم. وكان عمرو

---

[1]- ثاو: ميت .

[2]- الرمس: القبر .

[3]- عيون الأخبار ج٤ ص١٢٠.

بن قمية شاباً جميلاً، وكانت إصبع رجله الوسطى والتي تليها مفترقتين. فخرج مرثد يرمي بالقداح، فأرسلت امرأته إلي عمرو ابن قمية: (ابن عمك يدعوك) فجاءت به من دبر البيوت[1]، فلما دخل عليها لم يجد عمه فأنكر أمرها، فراودته عن نفسها، فقال لها: لقد جئت بأمر عظيم، وما كان مثلي يدعس لمثل هذا؟ قالت: لتفعلن ما أقول لك أو لأسوأنّك. قال: إلي المساءة دعوتني! ثم قام فخرج. وأمرتْ بجفنة فكبت على أثر رجله. فلما رجع مرثد وجدها متغضبة فقال لها: مالك؟ قالت: إن رجلاً من قومك قريب القرابة جاء يستامني[2] نفسي ويريد فراشك منذ خرجت. قال: ومن هو؟ قالت: أما أنا فلا أسميه، ولكن قم فاقتف أثره تحت الجفنة. فلما رأى الأثر عرفه فأعرض عنه وجفاه، ولم يزده على ذلك، كان أعجب الخلق إليه. وعرف ابن قمية ذلك وكره أن يخبره فقال:

لعمرك ما نفسي بجدّ رشيدة	تؤامرني شراً لأصُرم مرثداً[3]
عظيم رماد القدر لا متعبسٌ	ولا مؤيسٌ منها إذا هو أخمدا[4]
فقد ظهرت منه بوائق جمةٌ	وأفرع في لومي مراراً وأصعدا[5]
غير ذنب أن أكون جنيتهُ	سوى قول باغ جاهد فتهجداً[6]

وبلغت الأبيات مرثداً، فكشف عن الأمر حتى تبين له، فطلق امرأته وعاد ما كان عليه لابن أخيه[7].

سلمى..أمة عروة

*أسر عروة بن الورد العبسي، أحد أبرز فرسان العرب، سلمى الكنانية في غزوة على بني كنانة، فأحبها واعتقها وتزوجها وحلت من نفسه وعشيرته محلاً

---

[1]- دبر البيوت: أي من أبوابها الخلفية .

[2]- يستامني: يراودني عن نفسي .

[3]- تؤامرني: تشير عليَّ ، والصرم: القطيعة .

[4]- عظيم رماد القدر: كناية عن كرمه، وأخمد النار: أطفأها .

[5]- البوائق: المصائب، أفرع: أخذ، وأصعد: اشتد .

[6]- تهجد: سهر .

[7]- أخبار النساء ص ١٤٩-١٥٠.

كريماً، وأقامت عنده عشرات السنين وأنجبت له البنين والبنات. ورغم هذه المنزلة التي احتلتها في عشيرة زوجها، ظلت تتوق إلي اليوم الذي تتخلص فيه من عار السبي وتبذل كل جهد وحيلة في سبيل الخلاص والعودة إلي الأهل شأنها في ذلك شأن نساء العرب السبايا.

فتحايلت على زوجها وقالت له: لو حججت بي فأمر على أهلي وأراهم؟ فحجَّ بها إلي مكة ثم إلي المدينة وهو لا يشك في إخلاصها له. ثم نزل عروة عند بني النضير فأرسلت سلمى إلي أهلها تقول: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب سبيته وافتدوني فإنه يعتقد أنى لن أتركه أبداً ولن أفضل عليه أحداً.

ووصل أهلها بنو كنانة واحتالوا على عروة وسقوه الخمر حتى ثمل، فقالوا له: خذ فدية صاحبتنا فإنها وسيطة النسب فينا معروفة، وإن علينا سبة أن تكون سبية، فإذا عادت إلينا وأردت معاودتها فعلنا. فقال لهم: ذلك لكم ولكن لي شرط أن تخيروها فإن اختارتني انطلقت معي إلي أولادها، وإن اختارتكم انطلقتم بها. فلما فادوها وخيروها اختارت أهلها، ثم أقبلت على عروة، وقالت له: يا عروة أما أنى أقول فيك الحق ولو فارقتك: والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك، وأغض طرفاً، وما مر على يوم منذ كنت عندك إلا الموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك لأني لم أشأ أن أسمع امرأة من قومك تقول عني: قالت أَمة عروة كذا وكذا.. والله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً، فارجع راشداً إلي ولدك وأحسن إليهم.

بيدي لا بيد عمرو

*تربّعت الزباء بنت عمرو بن حيَّان على عرش الجزيرة بالعراق بعد أن قتل جذيمة الأبرش ملك العراق أبيها عمرو بن حيان. وظلَّ حلم الثأر لأبيها يراودها بل ويؤرق عليها حياتها، فعزمت على الإنتقام والثأر لمقتل أبيها من قاتلة جذيمة الأبرش، فنصحتها ختها ألا تحاربه لأنه رجل قوى لا يمكن التغلب عليه إلا بالحيلة والدهاء.
فأرسلت الزباء خطاباً إلي جذيمة الأبرش تقول له:

"إنها لم تجد خيراً في اعتلاء النساء عرش المملكة وإنها لا تجد من يشغله أكفأ منه، ودعته إليها كي يضم ملكه إلي ملكها، ويصل بلادها ببلاده ويتسلم مقاليد أمرها".

فلما وفد على جذيمة رسل الزباء، غرَّه الطمع وأخذه الغرور وأغواه النفوذ والسلطان، فجمع أصحاب الرأي والمشورة في مملكته وعرض عليهم أمر الزباء، فوافق الجميع على أن يذهب جذيمة إليها ما عدا قصير بن سعد اللخمي، وكان من أدهى رجال عصره، فقال:

"هذا غدر ظاهر فإن كانت فعلاً صادقة فلتحضر هي إليك، وإلا فلا تمكنها من نفسك، وتقع في شركها، وأنت قاتل أبيها، فلا تصدق كلامها".

ولكن " جذيمة " لم يأخذ برأيه ورحل إلي الزباء في موكب حافل، واستقبلته رسل الزباء بالبشر والترحيب، وسار جذيمة تحيط به الخيل والجند من كل النواحي حتى دخل على الزباء فقالت له:

أشوار عرس ترى؟

فقال: بل غدراً أرى.

فأمرت بنزف دمه حتى مات.

وخلف جذيمة على المُلْك ابن أخته عمرو بن عدى فقال له قصير: تهيَّأ يا عمرو واستعد، ولا تترك دم خالك. واحتال قصير وعمرو على الزباء، التي شعرت بأن هناك ما يدبره عمرو ضدها فاتخذت لها نفقاً في المجلس الذي كانت تجلس فيه يصل إلي حصن لها في داخل مدينتها، ودخل عمرو بن عدى ورجاله مدينة الزباء، فأوقف قصير عمرو على باب النفق وأخذ رجاله ينبهون ويقتلون من في المدينة، ولما شعرت الزباء بالغدر هربت إلي النفق فوجدت عمرو ينتظرها على بابه فنظرت إلي إصبعها ومصت خاتمها وكان فيه نسم، وقالت قولتها الشهيرة "بيدي لا بيد عمرو"[1].

---

[1]- راجع القصة الكاملة في كتاب "الأغاني" للأصفهاني.

حيلة المرأة الأهوازية

*كانت لرجل في الأهواز[1] ضيعة بالبصرة، وكان يتعاهدها في حين الانتفاع بالثمار. فتزوَّج بها امرأة، وانتهى الخبر إلي امرأته الأهوازية فاستخرقت[2] كتاباً على لسان بعض إخوانه بالبصرة يعزيه في البصرية ويقول: الحق المال الذي خلّفت ولا تتأخر.

وأعطت الكتاب لبعض الملاحين وجعلت له جعلاً[3]. فلما وصل الكتاب إلى زوجها وجد لموتها وجداً عظيماً، وقال للأهوازية: أصلحي لي سفرتي، فإني راكب إلي البصرة. ففعلت، فلما أصبح الغد ركب فرسه، وأعطته السفرة، ثم قبضت على عنان فرسه وقالت له: ما تكثر اختلافك إلي البصرة إلا ولك بها امرأة تزوجتها؟ فقال لها: والله ما لي بالبصرة امرأة، للذي وقف عليه من الكتاب فقالت له: لست أدري ما تقول، وإنما تحلف وتقول كل امرأة لي غيرك طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين؟ فللذي وقف عليه الرجل من موت البصرية قال في نفسه: تلك ماتت، فلم أُغير صدر هذه، فقال لها ك كل امرأة لي غيرك في جميع الأقاليم فهي طالق ثلاثاً بقول جميع المسلمين. فقالت له: لا تتعبن فقد طلقت الحبيبة. فندم الرجل، وأسقط ما في يديه[4].

امرأة الخازندار

*وجاء في كتاب "ألف ليلة وليلة" أن رجلاً كان يعمل خازنداراً للملك وكان لذلك الرجل جارية، فبعث إليها يوماً من الأيام غلامه برسالة على العادة بينهما، فجلس الغلام عندها فمالت إليه وضمته إلي صدرها فراودها فطاوعته.

فبينما هما كذلك وإذا بسيد الغلام قد طرق الباب، فأخذت الغلام ورمته في

---

[1]- الأهواز: من أقاليم الدولة العباسية يسمي اليوم خوزستان ، وهو في إيران ، وفيه مدينة عبدان النفطية .

[2]- استخرقت: اختلقت كذباً .

[3]- الجُعل: الأجر .

[4]- أخبار النساء ص٧٢-٧٣.

طابق عندها ثم فتحت الباب فدخل وسيفه بيده فجلس على فراش المرأة فأقبلت عليـــه تمازحه وتضمه إلي صدرها وتقبله، فقام الرجل إليها وطارحها وإذا بزوجها يدق على الباب فقال لها: مَنْ هذا؟ قالت: زوجي، فقال لها: كيف أفعل وكيف الحيلة في ذلــك؟ فقالت له: قمْ سل سيفك وقف في الدهليز ثم سبني واشتمني، فإذا دخل زوجي عليــك فاذهب وامضي إلي حال سبيلك ففعل ذلك.

فلما دخل زوجها رأي خازندار الملك واقفاً وسيفه مسلول بيده وهــو يــشتم زوجته ويهددها.

فلما رآه الخازندار استحي وأغمد سيفه وخرج من البيــت، فقــال الرجــل لزوجته: ما سبب ذلك؟ فقالت له: يا رجل ما أبرك هذه الساعة التي أتيت فيهــا قــد اعتقت نفساً مؤمنة من القتل، وما ذاك إلا أنني كنت فوق السطح أغزل وإذا بغلام قد دخل عليَّ مطروداً ذاهب العقل، وهو يلهث خوفاً من القتل وهذا الرجل مجرد ســيفه وهو يسرع وراءه ويجد في طلبه، فوقع الغلام على وقبل يدي ورجلي وقال: يا سيدتي أعتقيني ممن يريد قتلي ظلماً، فخبأته في الطابق الذي عندنا.

فلما رأيت هذا الرجل قد دخل وسيفه في يده أنكرته منه حين طلبه مي فصار يشتمني ويهددني كما رأيت، والحمد لله فإني كنت حائرة وليس عندي أحد ينقذني فقال لها زوجها: نعم ما فعلت يا امرأة أجرك على الله فيجازيك بفعلك خيراً.

ثم أن زوجها ذهب إلي الطابق ونادى الغلام وقال له: أطلع لا بــأس عليــك فطلع من الطابق وهو خائف، والرجل يقول له أرح نفسك لا بأس عليك وصار يتوجع لما أصابه والغلام يدعو لذلك الرجل ثم خرجا جميعاً ولم يعلم بما دبرته هذه المرأة.

لا يفلّ الحديد إلا الحديد

*ووردت في الكتاب ذاته القصة الآتية:

وبلغني أيضاً من كيد الرجال والنساء حكاية أعجب من هذه الحكايات كلها، فقال لها الملك: هات ما عندك، فقالت: اعلم أيها الملك أنَّ جارية من جواري الملك ليس لها نظير في زمانها في الحُسْن والجمال، والقد والاعتــدال، والبهــا والــدلال والأخذ بعقول الرجال وكانت تقول ليس لي نظير في زماني وكــان جميــع أولاد

الملوك يخطبونها وهى ترفض أن تأخذ واحداً منهم وكان اسمها الدنماء وكانت تقول لا يتزوجني إلا من يقهرني في حومة الميدان والضرب والطعان فإن غلبني أحد تزوجته بطيب قلبي وان غلبته أخذت فرسه وسلاحه وثيابه وكتبت على جبهته هذا عتيق فلانة وكان أبناء الملوك يأتون إليها من كل مكان بعيد وقريب وهى تغلبهم وتأخذ أسلحتهم وتلسعهم بالنار فسمع بها ابن ملك من ملوك العجم يقال له بهرام فقصدها من مسافة بعيدة واستصحب معه مالاً وخيلاً ورجالاً وذخائر الملوك حتى وصل إليها.

فلمَّا حضر عندها أرسل إلي والدها هدية سنية فأقبل عليه الملك وأكرمه غاية الإكرام، ثم أنه أرسل إليه مع وزرائه أنه يريد أن يخطب ابنته فأرسل إليه والدها وقال له: يا ولدي أما ابنتي الدنماء فليس لي عليها حكم لأنها أقسمت على نفسها أنها لا تتزوج إلا من يقهرها في حومة الميدان، فقال له ابن الملك: وأنا ما سافرت من مدينتي إلا على هذا الشرط، فقال الملك: في غد تلتقي معها، فلما جاء الغد أرسل والدها إليها وأستأذنها، فلما سمعت ذلك تأهبت للحرب ولبست عدة حربها وخرجت إلي الميدان فخرج ابن الملك إلي لقائها وعزم على قهرها، فتسامعت الناس بذلك فأتت من كل مكان جماعات، وخرجت الدنماء وقد لبست ثياب الحرب واللثام. فبرز لها ابن الملك وهو في أحسن حالة وأتقن عدة من آلات الحرب فحمل كل واحد منهما علي الآخر ثم تجاولا طويلاً واعتركا ملياً، فنظرت منه من الشجاعة والفروسية ما لم تنظره من غيره، فخافت على نفسها أن يخجلها بين الحاضرين، وعلمت أنه لا محالة غالبها فأرادت مكيدته وعملت له الحيلة فكشف عن وجهها وإذا هو أضوأ من البدر، فلمَّا نظر إليها ابن الملك اندهش فيه وضعفت قوته وبطلت عزيمته فاقتلعته من سرجه ومن فوق حصانه وصار في يدها مثل العصفور في مخلب العقاب وهو ذاهل من جمالها لا يدرى ما يفعل به فأخذت جواده وسلاحه وثيابه وسمته بالنار وأطلقت سبيله.

فلما فاق من غشيته، مكث أياماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من القهر وتمكن حبّ الجارية في قلبه فصرف عبيده إلي والده وكتب له كتاباً أنه لا يقدر أن

يرجع إلي بدله حتى يظفر بحاجته أو يموت دونها، فلما وصلت المكاتبة إلي والـــده حزن عليه وأراد أن يبعث إليه الجيوش والعساكر، فمنعه الوزراء من ذلك وصبَّروه ثم أن ابن الملك استعمل في غرضه الحيلة فجعل نفسه شيخاً هرماً وقصد بـــستان بنت الملك لأنها كانت تقضي أكثر أيامها فيه فاجتمع ابن الملك بالخولي وقال لـــه: إني رجل غريب من بلاد بعيدة وكنت مدة شبابي خولي وإلي الآن أحسن الفلاحـــة وحفظ النبات والزهور ولا يحسنه أحد غيري.

فلما سمعه الخولي فرح به غاية الفرح، فأدخله البـــستان ووصــــي عليـــه جماعته فأخذ في الخدمة وتربية الأشجار والنظر في مصالح أثمارها فبينمـــا هـــو كذلك يوماً من الأيام وإذا بالعبيد قد دخلوا البستان، ومعهم البغـــال عليهـــا الفـــرش والأواني فسأل عن ذلك، فقالوا له أن بنت الملك تريد أن تتفرج على ذلك البـــستان فمضي وأخذ الحلي والحلل التي كانت معه من بلاده، وجاء بها إلي البستان، قعـــد فيه ووضع قدامه شيئاً من تلك الذخائر وصار يرتعش ويظهر أن ذلك من الكبر ثم حضر الخدم والجواري وابنة الملك في وسطهن كأنها القمر بين النجـــوم، فـــأقبلن وجعلن يدرن في البستان ويقطفن الأثمار ويتفرجن فرأين رجلاً قاعداً تحت شجرة من الأشجار فقصدنه وهو ابن الملك ونظرنه، وإذا به شيخ كبير يـــرتعش بيديـــه ورجليه وبين يديه حلي وذخائر من ذخائر الملوك، فلما نظرته تعجبين من أمـــره فسألته عن هذه الحلي ما يصنع بها، فقال لهن: هذه الحي أريد أن أتزوج بها واحدة منكن فتضاحكن عليه وقلن له: إذا تزوجتها ما تصنع بها؟ فقال كنت أقبلهـــا قبلـــة واحدة وأطلقها، فقالت له ابنة الملك: زوجتك بهذه الجارية، فقام إليها وهـــو يتوكـــأ على عصا ويرتعش ويتعثر فقبلها ودفع لها تلك الحي والحلـــل ففرحـــت الجاريـــة وتضاحكن عليه ثم ذهبن إلي منازلهن.

فلمَّا كان في اليوم الثاني، دخلن البستان وجئن نحوه فوجدته جالـــساً فـــي موضعه وبين يديه حلي وحلل أكثر من الأول فقعدن عنده وقلن له: أيها الشيخ مـــا تصنع بهذه الحلي، فقال: أتزوج به واحدة منكن مثل البارحة، فقالت له ابنة الملك: قد زوجتك هذه الجارية فقام إليها، وقبَّلها وأعطاها تلك الحلي والحلل وذهبن إلـــي منزلهن، فلمَّا رأت ابنة الملك الذي أعطاه للجواري من الحلي والحلل، قالـــت فـــي

نفسها: أنا كنت أحق بذلك وما على بذلك من بأس.

فلمّا أصبح الصباح، خرجت من منزلها وحدها وهى في صورة جارية من الجواري وأخفت نفسها إلي أن أتت إلي الشيخ، فلما حضرت بين يديه قالت: يا شيخ أنا ابنة الملك، هل تريد أن تتزوج بي؟ فقال لها: حباً وكرامة وأخرج لها من الحلي والحلل ما هو أعلى قدراً وأغلى ثمناً ثم دفعه إليها وقام ليقبلها وهي آمنة مطمئنــة، فلما وصل إليها قبض عليها بشدة وألقاها على الأرض وتزوجها وقــال لهــا: مــا تعرفينني؟ فقالت له: مَنْ أنتَ؟ فقال لها: أنا بهرام ابن ملــك العجــم قــد غيــرت صورتي وتغربت عن أهلي ومملكتي من أجلك، فقامت وهى ساكنه لا تــرد عليــه جواباً ولا تبدي له خطاباً مما أصابها، وقالت في نفسها: إنْ قتلته فما يفيد قتله، ثــم تفكرت في نفسها وقالت: ما يسعني في ذلك إلا أن اهرب معه إلي بلاده، فجمعــت مالها وذخائرها وأرسلت إليه وأعلمته بذلك لأجل أن يتجهز أيــضاً ويجمــع مالــه وتعاهدا على ليلة يسافرا فيها.

ثم ركباً الجياد وسارا تحت الليل، فما أصبح الصباح حتى قطعاً بلاداً بعيدة ولم يزالا سائرين حتى وصلاً إلي بلاد العجم قرب مدينة أبيه، فلما سمع والده تلقاه بالعساكر والجنود وأرح غاية الفرح، ثم بعد أيام قلائل أرسل إلى والد الدنماء هدية سنية وكتب كتاباً يخبره فيه أن ابنته عنده ويطلب جهازها، فلما وصلت الهدايا إليه تلقاها وأكرم من حضر بها غاية الإكرام وفرح بذلك فرحاً شــديداً ثــم إنــه أولــم الولائم، وأحضر القاضي والشهود وكتب كتابها على ابن الملك، وخلع على الرسل الذين حضروا من عند ابن الملك الروح خلعاً سنية وأرسل إلــي ابنتــه جهازهــا كأحسن ما يكون من التجهيز معها ابن ملك العجم حتى فرق الموت بينهما.

سبع شعرات

*يُحكى أن خلافاً نشب بين رجل وزوجته، خشيت معه المرأة أن يكبر فيصير إلي ما لا تحمد عقباه، فيعمد زوجها إلي طلاقها، فذهبت وشكت أمرها إلي شيخ حكيم مجرب، وطلبت منه أن يكتب لها كتاباً أو يصنع لها حجاباً يعيد إليهــا ثقــة زوجهــا

ومودته التي تغيرت: فطلب الشيخ منها أن تذهب وتحضر له "سبع شعرات" من شارب الضبع، ليصنع لها بوساطتها حجاباً واقياً، فمضت المرأة ثم رجعت بعد عشرة أيـام وقالت للشيخ: هذه سبع شعرات من شارب الضبع، كما طلبت، فدخل الشيخ لأنه كان في خلده أنه بطلبه يثنيها عما أرادت، وسألها عن كيفية حصول ذلك الأمر، فأجابت: الأمرُ بسيط، حملت كمية من اللحم ذات مساء، وتوجهت إلي "مغر الخرائـب" حيـث أعلم أنه يعيش هناك ضبع عتيق، وعندما اقترب مني الضبع رميت له قطعة من اللحم فالتهمها، وصرت كلما دنا مني أرمي له قطعة بعد أخرى حتى شبع ورجع من حيث أتى، وفي اليوم التالي أعدت الكرة، ولمدة خمسة أيام متتالية، وفي اليوم السادس وجدته ينتظرني وهو يهز ذيله ترحيباً بي فرميت له ما كان معي من اللحم ورجعت أدراجي، وفي اليوم السابع رأيت الضبع راقداً ينتظرني، فاقتربت منه ورحت أناوله قطع اللحم من يدي إلي فمه مباشرة، وهو ينظر إلي بعينين بريئتين كأنه طفل وديع، فرحت أغني له وأداعبه بالحلمسة[1] فوق جبينه وتحت ذقنه وحول شاربيه حتى استأنس بي وأسـلم نفسه إلي نوم عميق، عندئذ تجرأت ومددت يدي إلي شاربيه.. وهنا صاح الشيخ: كفي! إن التي تستطيع تنييم الضبع على ركبتها لا تعجز عن تنييم زوجها على مخدتها.

هل لك في العقيق؟

*وروى الهيثم بن عدي، أن الحسن بن علي تزوَّج حفـصة بنـت عبـد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فبلغ الحسن عنها شيئاً أنكره فطلقها، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه، وخطبها عاصـم بن عمر بن الخطاب فتزوجته، فرمى إليه المنذر بن الزبير عنها شـيئاً فطلقهـا، وخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه فدس لها امرأة من قريش، فأتتها فتحدثت معها ثم ذكرت لها المنذر، وأعلمتها أنه قد شهّر بحبها، فقالت: قد خطبنـي فآليـت أن لا أتزوجه. قالت: ولِمَ ذلك؟ فوالله إنه لفتي قريش وشريفها وابـن شـريفها. قالـت: شهرني وفضحني. قالت لها: والآن ينبغي أن تتزوجيه ليعلم الناس أن كلامه كـان

[1]- الحلمسة: اللمس والمداعبة.

باطلاً. فوقع في نفسها كلامها، وجاءت المرأة إلي المنذر فقالت: اخطبها فقد أصلحت لك قلبها. فخطبها فتزوجته، فعلم الناس أنه كان يكذب عليها.

وكان في نفس الحسن منها شيء، وكان إنما طلقها لما أبلغه عنها الزبير، فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق[1]؟ قال: نعم. فعدل الحسن إلي منزل حفصة فدخل عليها، فتحدثاً طويلاً، ثم خرج، ثم قال لابن أبي عتيق يوماً آخر: هل لك في العقيق يا ابن أبي عتيق؟ فقال له: ألا تقول هل لك في حفصة فتصير إليها على علم، وأسعى لك منها تحب؟! فقال الحسن: استغفر الله[2].

إنَّ غدا لناظره قريب

*أُفتتن يزيد بن معاوية بأرينب بنت إسحاق التي بهرت أهل زمانها بجمالها البارع وحسنها البديع، وأخذ الحب عليه أقطار لبه، وأيقظ وجدانه، وكاد أن يذهب بعقله. ولكن كيف له أن يصل إليها كي يطفأ لهيب الأشواق ولوعة الحب التي تؤرق مضجعه ليل نهار وهى زوجة عبد الله بن سلام القرشي وإلي العراق، وصاحب الفضل والمكانة عند معاوية ولدي عشيرته.

أسرع يزيد إلي والده، فقد كان يعرف مكانته عنده، وأسرّ له بما يلقاه من لوعة الحب ولهيب الأشواق، فأمره معاوية بالتريث فالأمر يحتاج إلي تدبير وصبر، فأجابه يزيد: تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل. قال معاوية: أين عقلك ومروءتك؟ قال يزيد: يغلب الهوى على العقل والصبر، ولو كان أحد ينتفع بما يبتلى من الهوى بتقاه، أو يدفع ما أقصده بحجاه، لكان أولي الناس داود عليه السلام[3].

وشرع معاوية في تدبير الحيلة لتحقيق مأرب ولده، فكتب إلي عبد الله بن

---

[1]- العقيق: اسم واد بمكة .

[2]- المرجع السابق ص ١٧٥-١٧٦.

[3]- أشار إلى قوله تعالى (يا داود إنَّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) سورة (ص)، الآية (٢٦) .

سلام أن يحضر إليه عاجلاً لأمر هام. فأقبل الرجل مسرعاً إلي الشام.

وكان عند معاوية أبو هريرة وأبو الدرداء صاحباً رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما:

"إن عندي ابنة قد بلغت وأريد تزويجها من رجل كُفؤ لها، يهتدي بهديي ويتبع أثري ويناصر ابنتي، فإني أخشى أن يتولى الملك بعدي من يأخذ زهو الملك وسطوة السلطان فيظلم النساء ولا يؤتهن حقوقهن من الملك، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه".

فقال أبو هريرة وأبو الدرداء: "إن أولى الناس برعاية الله وشكرها وطلب مرضاته فيها، أنت صاحب رسول الله وكتابه".

فقال معاوية: اذكرا له ذلك عني، وقد جعلت لها حرية الاختيار والشورى، وأني أرجو أنها لا تخرج عن رأيي إن شاء الله.

توجَّه أبو هريرة وصاحبه أبو الدرداء إلي منزل عبد الله بن سلام، بالذي قال لهما معاوية، ودخل معاوية إلي ابنته فقال لها:

" إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام، وتزويجي إياك منه، وطلباً منك موافقتي فقولي لهما: " عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم، غير أنه متزوج بأرينب بنت إسحاق، وأنا خائفة أن يحدث من الغيرة ما يحدث للنساء، فيحدث بيننا الشقاق فأغضب الله وأسخطه فيه، فيعذبني عليه، ولا أقبل هذا الأمر إلا أن يفارقها.

وحينما توجَّه أبو هريرة وصاحبه إلي عبد الله بن سلام وأعلماه الخبر، فرح وسُرَّ سروراً عظيماً لمصاهرة معاوية، وحمد الله، وبعثهما خاطبين له، فلما قدما على معاوية قال لهما:

"قد علّمتها رضائي وحرصي عليه، وتعلمان أيضاً أني جعلت اختيارها لها، فادخلا إليها واعرضا عليها الأمر".

فدخلاً عليها وأعلماها بما اختاره لها أبوها. فقالت ما اتفقت عليه مع أبيها (طلاق أرينب).

فعادا إلي ابن سلام وعرضاً عليه الأمر، فلما رأى أنه لا يحول بينه وبين أمله إلا طلاق زوجته، طلقها، وأشهد أبا هريرة وأبا الدرداء على هذا الطلاق، وبعثهما لإتمام الزواج، فلما دخلاً على معاوية وأعلماه بأمر الطلاق، أظهر استنكاره وكراهته لفعله. وقال:

"أحب له طلاق امرأته ولا أستحسن ذلك، ولو صبر لصار الأمر إلي غايته فإن ما هو كائن لا بد منه، ولا محيص عنه ولا خير فيه للعباد، والأقدار غالبة، وما سبق في علم الله لابد أن يجري على عباده، فانصرفاً في عافية، وعوداً إلينا لتنالا إن شاء الله رضاناً".

وعاد أبو هريرة وأبو الدرداء لينالا مكافأة معاوية، فطلب منها الدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها ليبرأ مما حدث ويسمعا عذرها، فدخلاً عليها وأعلماها بموافقة أبيها على زواجها من عبد الله بن سلام إن هي وافقت، وبطلاقه لزوجته أرينب بنت إسحاق، فقالت لهما:

"جف القلم بما هو كائن، إن عبد الله لعظيم المنزلة في قريش، غير أن الله يتولى الأمور في خلقه، ويقسمها بين عباده، ويضعها على ما سبق تقديره، والأمور لا تجري لأحد على ما يهوى، ولو كان الأمر كذلك لبلغ كل أمري منها غاية ما يشاء، وقد تعرفان أن التزويج هزله جد، وندم النادم عليه يدوم، والعاثر فيه لا يكاد يقوم، والأناة في الأمر أوفق، فإن الأمور جاءت خلاف الهوى بعد التأني فيها كان المرء أحسن العزاء خليقاً، وبالصبر عليها حقيقاً[1]، وإذا كان ولي التدبير فلا النفس على التقصير وإني سأستعين بالله فأسأل عنه، حتى أعرف حقيقة خبره. أدرك ما أريد عمله من أمره، ولا قوة إلا بالله".

فقال لها الرسولان: "وفقك اله ".

ثم انصرفاً فبلغاً ابن سلام بقولها، فتمثل: "إن غدا لناظرة قريب".

ومرت الأيام، ولم يرد معاوية أو ابنته جواباً، فأرسل عبد الله بن سلام

[1]- حقيقا: جديرا.

إلي أبى هريرة وأبى الدرداء وطلب منهما الفراغ من أمره، فعادا إلي ابنة معاوية قائلين لها:

" قد أتيناك نعرف ما أنت صانعة في أمرك".

قالت: "الحمد لله، أرجو أن يكون الله قد اختار لي، فإنه يهدي من استهداه، ويعطي من اجتداه[1] وهو أقدر القادرين. الحمد لله قد سألت عنه، فوجدته غير ملائم، ولا موافق لما أريد لنفسي، مع اختلاف من استشرته فيه، فمنهم الناهي عنه، ومنهم الأمر به، واختلافهم أول ما كرهت".

تمت الخديعة، وعزل معاوية عبد الله بن سلام من الإمارة وقطع عنه مؤنته، وبعث إلي أرينب بعد أن انقضت عدتها يخطبها لابنة يزيد، فسافر أبو الدرداء، الذي أوكل إليه معاوية إتمام هذا الأمر، حتى دخل العراق وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب. فقصد أبو الدرداء منزل الحسين للسلام عليه، وأعلمه بسبب مجيئة إلي العراق فقال له الحسين:

"لقد اخترتها لنفسي، وعزمت الإرسال إليها بعد انقضاء عدتها، فلم يمنعني من ذلك إلا اختيار رجل أمين صالح مثلك، والحمد لله أن قد جاء بك، فاخطبها لي وله، وعليها أن تختار من اختاره الله لها، وإنها أمانة في عنقك، حتى تؤديها إليها، وأعطيها من المهر مثل ما بذل معاوية عن يزيد".

قال أبو الدرداء: "سأفعل إن شاء الله".

ولمَّا دخل عليها قال: "أيتها المرأة، إن الله خلق الأمور بقدرته وكونها بعزته، فجعل لكل أمر قدراً ولكل قدر سبباً، فليس لأحد عن قدر الله مستحاض[2] فكان ما سبق لك وقدر عليك الذي كان من فراق عبد الله بن سلام إياك، ولعل ذلك لا يضرك، وأن يجعل الله لك فيه خيراً، وقد خطبك أمير هذه الأمة، وابن الملك ولي العهد والخليفة من بعده يزيد بن معاوية، وابن بنت رسول الله صلى الله وسلم،

[1] – اجتداه: أي طلب جوده.

[2]– مستحاض: ممنوع.

وابن أول من آمن به من أمته، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة، جئتك خاطباً لهما، فاختاري أيهما شئت؟".

فسكتت أرينب ثم قالت:

"يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جاءني وأنت غائب لأرسلت إليك الرسل أستشيرك فيه، فلا أقطع فيه برأي دونك، أما وقد أصبحت صاحبة فقد فوضت أمري بعد الله إليك، وجعلته بين يديك، فاختر لي أرضاهما إليك، والله شهيد عليك فاقض فيه قضاء المتحري المستيقن، لا يصدنك عن ذلك إتباع الهوى فليس أمرهما عليك خفياً".

فقال أبو الدرداء:

"أيتها المرأة، إنما علي إعلامك وعليك الاختيار لنفسك".

قالت:

"عفي الله عنك، إنني لا غنى لي عنك، فلا تمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما كلفتك".

فقال أبو الدرداء:

"قد وجب أداء الأمانة، والله بنا لطيف خبير".

فلما لم يجد بداً من بذل النصيحة وإسداء المشورة قال:

"أي بنية، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي وأرضاه عندي، والله أعلم بخيرهما لك، وقد كنت رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام واضعاً شفتيه على شفتي الحسين، فضعي شفتيك حيث وضعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قالت:

"قد اخترته ورضيته".

فتزوجها الحسين، وساق إليها مهراً عظيماً.

وعندما بلغ الخبر معاوية غضب غضباً شديداً على أبى الدرداء وقال:

"من يرسل ذا بلاهة وعما يركب في أمره وخلاف ما يهوى، ورأيي كان

من كان من رأيه أسوأ، ولقد كنت بالملامة منه أولى حيث بعثناه ولحاجتنا رضيناه".

أما ما كان من أمر عبد الله بن سلام، فقد كان استودع أرينب بنت إسحاق قبل طلاقها بدرات[1] مملوءة دراً. فلما ضاقت عليه الأرض بما رحبت شد رحاله إلى العراق، وسعى حتى قابل الحسين، وعرفه أنه قد أودع عند زوجته قبل طلاقها مالاً عظيماً، وأثنى على عفافها وحسن عشيرتها، ثم طلب من الحسين أن يذهب إليها ويسألها عن أمر هذه البدرات، فدخل الحسين على زوجته وأعلمها بالأمر فقالت:
"صدق والله استودعني مالاً لا أدري ما هو، إنه لمطبوع بطابعه، وما أخذت منه شيئاً إلي يومه هذا".

فأثنى عليها الحسين خيراً وقال:

"بل أدخله عليك حتى تبرئي إليه من المال كما دفعه إليك".

ثم لقي ابن سلام فقال له:

"ما أنكرت عليك وديعتك، فادخل عليها واستوفي مالك منها".

قال عبد الله بن سلام:

"أرجو أن تأمر بدفعه إلي، جعلت فداك ".

قال الحسين:

"لا، حتى تقبضه منها كما دفعته إليها وتبرئها منه".

دخل الحسين برفقة عبد الله، فناداها من وراء الستار قائلاً:

"هذا عبد الله بن سلام، قد جاء يطلب وديعته، فأديها إليه كما قبضتيها منه".

فأدت إليه وديعته، وأصواتهم تتعالى بالبكاء من فرط محبتهما وأسفاً على ما كان من أمرهما. ودخل الحسين رضى الله عنهما عليهما وقد رق قلبه لما سمع من البكاء فقال:

"أشهد الله أنها طالق ثلاثاً، اللهم إنك تعلم أنى لم استنكحها[2] رغبة في مالها ولا جمالها، ولكنني أردت احلالها لبعلها، ونيل الثواب من الله، لأنني جمعت بين

---

[1]- البدرة: كيس يسع ألفاً أو عشرة آلاف .

[2]- استنكحها: أتزوجها.

اثنين فرقت بينهما الغواية والخديعة، ومطامع السلطان، اللهم أجزل علي ما فعلت الثواب إنك على كل شئ قدير".

ثم تزوَّجها عبد الله بعد أن انقضت عدتها.

قطع الواشون ما كان بيننا

وقيل: إن أبا دهبل كان يهوي امرأة من قومه يُقال لها عمرة، وكانت امرأة جزلة[١] يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار، وكان أبو دهبل لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها، وكانت هي أيضاً محبة له، وكان أبو دهبل رجلاً سيداً من أشراف بني جمح وكان يحمل الحمالات[٢] ويعطي الفقراء ويقري[٣] الضيف، وزعمت بنو جمح أنه تزوج عمرة هذه بعد ذلك، وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها، وكانت عمرة توصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه، فضمن لها ذلك واتصل ما بينهما، فوقفت عليه زوجته، فدست إلي عمرة امرأة داهية من عجائز أهلها، فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عرض حديثها: إني لأعجب لك كيف لا تتزوجين أبا دهبل مع ما بينكما؟ قالت: وأي شئ يكون بيني وبين أبي دهبل؟ قال: فتضاحكت وقالت: أتسترين عني شيئاً قد تحدثت به أشراف قريش في مجالسها، وسوقة أهل الحجاز في أسواقها والسقاة في مواردها[٤] فما يتدافع اثنان أنه يهواك وتهوينه، فوثبت عن مجلسها، فاحتجبت ومنعت كل من كان يجالسها مَنْ المصير إليها، وجاء أبو دهبل على عادته، فحجبته وأرسلت إليه بما كره، ففي ذلك يقول:

تطاول هذا الليل ما يتبلّج	وأعيت غواشي عبرتي ما تفرّج[٥]
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنما	خلال ضلوعي جمرةٌ تتوهجُ
فطوراً أمنّي النفس من عمرة المنى	وطوراً إذا ما لج بي الحزن أنشجُ[١]

---

[١]- الجزلة: التامة الخلق والأدب .

[٢] – الحمالات: الديات .

[٣] – يقري: يكرم.

[٤] – مواردها: مكان ورودها الماء.

[٥]- يتبلج: ينفرج عن النهار .

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلي أن يوصل الحبل أحوج[2]

حيلة العاشقين

*حدَّث رجلٌ من تغلب فقال: كان فينا رجل له ابنة شابة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكثاً كذلك دهراً ثم إن الجارية خطبها بعض الأشراف، فأرغب في المهر، فأنعم أبو الجارية واجتمع القوم للخطبة، فقالت الجارية لأمها: يا أماه ما يمنع أبي أن يزوجني من ابن عمي، قالت: أمر كان مقضياً، قالت: والله ما أحسن؟ رباه صغيراً، ثم تدعوه كبيراً، ثم قالت لها: يا أماه إني والله حامل، فاكتمي إن شئت أو نوحي، فأرسلت الأم إلي الأب فأخبرته الخبر فقال: اكتمي هذا الأمر، ثم خرج إلي القوم فقال: يا هؤلاء، إني كنت أجبتكم، وإنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر، وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان، فلما انقضي ذلك قال الشيخ: أدخلوها عليه، فقالت الجارية: هي بالرحمن كافرة إنْ دخل عليها من سنة، أو تبين حملها، قال: فما دخل عليها إلا بعد حول، فعلم أبوها أنها احتالت عليه[3].

المرأة وقاضي القضاة

*وروى ابن الجوزى في كتابه "المنتظم"، أن الحاكم بأمر الله بمصر حظر على النساء الخروج من منازلهن، والاطلاع من سطوحهن، ودخول الحمامات، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف لهن، وقتل عدة نساء خالفن أمره في ذلك.

وكان الحاكم يركب بالليل يطوف الأسواق، ورتب في كل درب أصحاب أخبار يطالعونه بما يعرفونه، ورتبوا عجائز يدخلن الدور ويرفعن إليهم أخبار النساء، وأن فلاناً يحب فلانة، وفلانة تحب فلاناً، وأن تلك تجتمع مع صديقها، وهذا

---

[1]– أنشج: أبكي وأئن من الشكوى والحب .

[2]– الأغاني ج٧ ص١٣١-١٣٢.

[3]– الأذكياء ص ٢١٩.

مع صاحبته. فكان أصحاب الأخبار يرفعون إلي الحاكم ذلك، فينفذ من يقبض على المرأة التي سمع عنها مثل ذلك، فإذا اجتمع عنده جماعة منهن أمره بتغريقهن.

واتفق أن مر قاضي القضاة يوماً ببعض المحال. فنادته امرأة من دارها، وأقسمت عليه أن يقف لها فوقف. فبكت بكاء شديداً وقالت:

"لي أخ لا أملك غيره، وعرفت أنه في آخر الرمق، وأنا أقسم عليك إلا أمرت بحملي إليه لأشاهده قبل أن يقضي نحبه".

فرحمها القاضي ورقّ لها، وأمر رجلين من أصحابه أن يحملاها إلي الموضع الذي تدلهما عليها.

فأغلقت باب دارها، وتركت المفتاح عند جارة لها، وقالت: سلميه إلي زوجي.

ومضت إلي باب فدقته فدخلت، وقالت للرجلين: انصرفاً.

وكانت الدار لرجل يهواها وتهواه. فلما رآها سر بها، وأخبرته بحيلتها.

فلما انصرف زوجها آخر النهار، وجد بابه مغلقاً، فسأل الجيران فأخبروه بالحال وبما جرى لها مع قاضي القضاة، فدخل إلي بيته وبات في أقبح ليلة. ثم باكر في غد إلي دار قاضي القضاة، وقال:

"أنا زوج المرأة التي فعلت أمس ما فعلته، وما لها أخ، وما أفارقك حتى تردها إلي".

فركب قاضي القضاة في الحال، واستصحب الرجلين اللذين أنفذ بهما مع المرأة حتى يرشداه إلي الدار، فوجد المرأة والرجل نائمين في إزار واحد على سكر. فحملاً إلي الحاكم، فأمر بأن تحرق المرأة، وأن يضرب الرجل ألف سوط.

كيد النساء غلب كيد الرجال

*ويُحكى أن تاجراً ركب رأسه الغرور فكتب على باب دكانه "كيد الرجال غلب كيد النساء"، ويبدو أن ذلك لم يرق لصبية حسناء ذات تيه[1] ودلال، فدخلت

[1]- تيه: كبرياء.

دكانه متعللة بشراء بعض الحاجيات، فصارت كلما طلبت مطلباً تتمايــل وتتحنــي وتتعطف وتتثني حتى تظهر مفاتنها وتبث محاسنها حتى تمكنت من صاحب الدكان وسرقت عقله وتلاعبت بعواطفه، ولم يتمالك نفسه عن سؤالها من تكون؟ فقالت له: أنا ابنة قاضي القضاة، قال الشاب: ما أسعد أبيك فيك! قالت: وما أشقاني معه! إنــه يريد أن يبقيني بدون زواج، فكلما طلبني أحد للزواج قال له: إنني عمياء كتعــاء[1] غير صالحة لمثل هذه الأمور، قال الشاب: وهل تقبلين بي زوجاً لك، وأنا أتــدبر الأمر مع أبيك؟ فأجابته الفتاة بالموافقة.

ولم يلبث الشاب أن مضى من وقته إلي قاضي القضاة يطلب منه يد ابنته، فقال القاضي: ولكن ابنتي عمياء كتعاء، وأنا لا أريد أن أضع أحداً في ذمتي، قــال الشاب: أنا أقبلها كما هي ويكفيني حسبها ونسبها، وتمت الموافقة، ثم إنــه أتيحــت الفرصة للشاب كي يجتمع بعروسه، فإذا هي حقيقة عمياء كتعاء، وأنها ليست تلــك المرأة الماكرة الحسناء، فرجع الشاب إلي دكانه منكسر النفس منكس الرأس ومحي عن بابه العبارة التي أوقعته في المصائب "كيد الرجال غلب كيد النساء" ولم يلبــث غير يسير، فإذا بالصبية الحسناء تقبل عليه من بعيد وعلى ثغرها ابتسامة الظفــر، فدخلت وقالت: الآن قد اعترفت بالحقيقة، وأقررت أن " كيد النــساء غلــب كيــد الرجال"، فأجاب الشاب: ولكن مع الأسف بعد فوات الأوان، فقالت الفتاة: لن أتركك في محنتك وخلاصك في يدي! فما عليك إلا أن تبحث عن جماعة من النور تطلب منهم أن يزعموا أنك واحد منهم، وأن يحضروا على أساس أنهم أقاربك وأصحابك إلي بيت القاضي في يوم العرس، وهكذا كان، فقد وصل الجماعة في اليوم الموعود بطبل وزمر ورواقص وأهازيج، في حين كان القاضي يجلس مــع عليــة القــوم وأشراف المدينة، فهرع الشاب إلي ملاقاتهم والترحيب بهم، ولما سأله الحاضــرون عن الخبر، أجابهم: أنا منهم وهم مني، ولا أستطيع أن أنكر حسبي ونسبي، ولــذلك دعوتهم ليحتفلوا بي في يوم عرسي، فصاح به قاضي القضاة: كفي، ونحن أيضاً لا

[1]- الكتعاء: الخادمة المملوكة .

نستطيع أن نتخلى عن حسبنا ونسبنا، قم وانصرف أنت وجماعتك، وابحث لك عن زوجة من بناتهم، وعفا الله عما سلف.

وفي الغد ذهب الشاب إلي دكانه، وإذا بالصبية تأتيه، فاستقبلها هاشاً باشاً، وأخبرها بنجاح مشورتها ومكيدتها التي خلصته من شراك تلك المصيبة، ثم سألها حقيقة نفسها فأخبرته، فلم يلبث يسيراً حتى ذهب وطلب يدها معترفاً بالهزيمة أمام كيد النساء وتدبيرهن الذي لا يقاوم[1].

---

[1]- الأذكياء لابن الجوزي.